

كتب للجميع

كتب للجميع

خبايا سياسية

للدكتور محمود عزمى



٨ شارع ضريح سعد بالقاهرة

طبع بمطابع جريدة «المصرى»

فهرس

تمهيد

الواقع انى متصل بالحركة السياسية المصرية اتصالا غير منقطع منذ نيف واربعين سنة والواقع انى عرفت عن طريق هذا الاتصال المستمر عديدا من الشخصيات المصرية البارزة والمستترة التى قامت بادوار فى تلك الحركة السياسية كما وقفت خلال هذه المعرفة على كثير من الحقائق التى ساعدتنى ذاكرة قوية فى مقتبل العمر على وعيها واعاننى التدوين هذه السنوات الاخيرة على الاحتفاظ بذكرها .

والحق ان حوادث التاريخ لاتسجل عادة منزهة اذا هى كتبت او رويت تحت تأثير عوامل الساعة التى تقع فيها ومن اجل هذا كان تقديمها « على البارد » كما يقول الفرنسيون ــ مما يقدره المؤرخون قدره لانه يعرض عليهم رواية بعيدة قدر المستطاع البشرى من التحيز المقصود او الوقوع عفوا تحت مؤثرات الخاطف من النظرات والجارف من التيارات .

ولعل هذه الاعتبارات هى التى املت على يوما التفكير فى امر القيام بذلك الذى اعتبره واجبا على مثلى ممن اتاحت له الظروف ما اتاحت من اتصال وتعرف ووقوف نحو التاريخ المصرى والمؤرخين له فأعد لهم من المعلومات مايصح ان يكون سندا فى سبيل دقة التحليل وعميق التحقيق وهما ركنان لابد من استيفائهما فى كل بحث جدى . لكنى اعرف ان لاعلان الحقائق شروطا اذا توافرت بالنسبة لبعضها فقد لاتتوافر

بالنسبة لبعضها الاخير فى حين ان بين البعضين فى اغلب الاحايين تضامنـــا يقضى باعلانهما على السواء . والى هذا فان الحركة المصرية السياسية لاتزال قائمة. وفى اعـــلان بعض الحقائق عنها كشـــف لستر قد يؤمن المرء بان تركه الان فى الغياهب انما هو من المصلحة القومية فى شىء . وذلك كله الى حساسية المتصدين للعمل العـــام فى مصر حساسية تكاد تـكون مريضـة فتجعلهم ـ اذا ذكـر لهم اسم او اسند لهم رأى ـ يعتبرون هذا الاسناد وذلك الذكر عملا عدائيا موجها لشخصهم ولمبادئهم وللجماعة السياسية التى ينتمون اليها بل للوطن والوطنية جميعا وليس فى أى شىء من كل تلك الاعتبـارات مايشجع على نشر الذكريات والادلاء بالمعلومات . لكنى اعتدت خلال تلك السنوات الاربعين التى اتصـلت طوالها بالحركة السياسـية المصرية ان اجابه الحملات والاتهـــامات فى اطمئنان لانى اومن برسالة المثقفين فى مثل بلدنا من ناحية واومن بضرورة تحمـل انواع الاذى فى سبيل تأدية الرسالة من ناحية ثانيـة ..

ولذلك فقـد اعتزمت الادلاء هنا بشىء من ذكرياتى السياسية وان كنت قد اعتزمت فى الوقت عينه الا ادلى عن طريقهـــا بما احسبه فى غير المصلحة القومية مادامت قضيتنا العـامة معلقة

محمود عزمى

كيف دخلت السجن

كنت ــ حينما كان على ان القى درسا بمدرسة التجارة فى الساعة الثانية صباحا ــ كنت أغادر المنزل دون ان اتناول فطورى أو دون ان اتناوله كاملا وكنت اوصى على « طبق من الفول محكم » يعد لى بمكتب « الضابط » اتناوله بعد أن أفرغ من القاء درسى فى الساعة التاسعة

ويوما وأنا اتناول هذا الفول التقليدى دخل الى مكتب ضابط المدرسة ضابط بوليس يسال عن الاستاذ محمود عزمى فاجبته بأنه هو ذا ودعوته الى مشاركتى الفول وطلبت اليه ان ينتظرنى حتى اتم المهمة ومضيت آكل وانا احسبه قريب واحد من الطلبة يريد ان يسأل عنه أو يوصى به خيرا وسيدلنى على اسمه فى الطريق

مفاجأة وتفتيش

لكنه لم يدل الى بشىء وأنا من ناحيتى لم اسأله عن شىء ووصلنا الى مكتب الناظر ودخلناه فتقدم هو اليه وطلب السماح بتفتيش مكتبى بالمدرسة بناء على امر كتابى أخرجه من جيبه وكانت مفاجأة ، ولماذا : لا يدرى ولحساب أى تهمة او أى تحقيق ؟ لا يدرى

فأخذته وقصدت الى حجرة الاساتذة ولم يكن بها أحد على ما اذكر ودللته على مربع من بين المربعات دولاب كبير وقلت له « هاهو مكتبى الذى جئت مكلفا بتفتيشه وهو على ماترى مفتوح وليس على ماترى غير كراستين أو ثلاث رصدت فى كل واحدة منها اسماء طلبة من الفرق التى ادرس فيها .

فكر الضابط أوراق الكراسات وتركها فى مكانها وحسبت التفتيش قد انتهى لكنه طلب الى ان اصحبه الى منزلى فلبيت طلبه وخرجنا من المدرسة واذا بها شرطى واثنان من رجال البوليس السرى تبعونا الى حيث كنت اقطن بالعمارة البلجيكية بشارع حسن الاكبر

وفتش الضابط المسكن تفتيشا دقيقا وفتحت له ادراج مكتبى وقلت له ان اوراقى مرتبة فيه ترتيبا فهى فى اضمامات وقد كتبت على كل اضمامة موضوع مافيها من الاوراق وفى هذا من تسهيل المهمة مافيه لكنه خبرنى ان الاوامر التى صدرت له تقضى بأخذ جميع أوراقى دون «فرز» ونصحنى ان اقدم له حقائب من الجلد يضع فيها الاوراق احتفاظا بها والا اضطر الى وضعها فى زكايب تحشر فيها حشرا فقدمت الحقائب واخذ رجاله يضعون فيها الاوراق جميعا واحتفظ هو بحرز « حرير » بعض حبات من الرصاص الذى يضعه عمال الادوات الكهربائية فى « نقالات » المصابيح التى يمكن تحريكها الى فوق والى تحت وكانت احدى النقالات قد كسرت فانتشرت تلك الحبات على الارض فجمعناها فحسبها الضابط «رشا» لسلاح

فى المحافظة

وحمل الضابط رجاله الحقائب بما فيها من اوراق وطلب الى ان اقصد الى المحافظة نحو الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم نفسه وأطلب ان أقابل فيها « فلبيدس بك » . وقصدت الى المحافظة فى الساعة المحددة وطلبت ان أقابل « فليبدس بك » فادخلت مكتبا فيه موظف لم أكن قد رأيته من قبل فحييته فرد التحية فى لطف وجلست وطلب لى « قهوة » ودق التليفون « فتناول السماعة » وتكلم فاذا به يقول ان الاوراق قد جيء بها الى المحافظة و ... هو موجود بمكتبى و .. حاضر يا افندم .. حاضر يا افندم .

وتناولت القهوة ثم دخل شخص ابيض الوجه اشقر الشعر



وصاح بهم الشرطى ـ خذوا هذا النفر السياسى !..

ازرق العينين فنظر الى نظرة تفرس دامت لحظات ثم سأله الموظف « خلاص » وانصرف

وحينئذ اخبرني الموظف ان اوراقي سترسل الى الاسكندرية ليفحصها بدر الدين بك اما انا فغير مطلوب مني شيء . وغادرت المحافظة وقد استنتجت ان حالتي متصلة بالتحقيقات التي تجري في الاسكندرية لمناسبة حادث القنبلة التي القيب على موكب « السلطان حسين » ما دامت اوراقي مُرسلة الى بدر الدين بك كما استنتجت ان ذلك الذي استدعى لينظر الى ويتفرس في انما هو الشخص الذي كلف بمراقبتي الى ان يتم فحص الاوراق . وقلت ان رجال ادارتنا امرهم عجيب فقد كان دخول ذلك الشخص ونظره الى وتفرسه في لافتا نظري انا الاخر اليه فتفرسته كما تفرسني وانطبعت صورته في بحيث استطيع تعطيل مهمته لو اردت .

ليلة راس السنة الهجرية

ومضى اسبوعان لم اشعر خلالهما حقا بشيء غير عادي وان كنت قد حاولت مرارا ان اتعرف اذا كان احد يتبعني او يراقب حركاتي .. وجاء اليوم السادس من نوفمبر ١٩٣٥ وخرجنا بعد الغروب فقصدت الى «سينما» وكنت مع زوجي وكان معنا المرحوم عبد الحميد مصطفى باشا « وعثمان فهمي » باشا « ويس احمد » بك « وقصدنا الى شارع عماد الدين نتخير سينما ونتخير برنامجا لكنا وجدنا ازدحاما ذكرنا بانا ليلة راس السنة الهجرية وبدأنا نفكر في العودة الى دارنا نتناول فيها العشاء ونمضي السهرة متحدثين وعدنا ادراجنا وما ان فتح لنا الخادم « مختار » الباب حتى اخبرني في ذعر ان الضابط الذي كان قد فتش المنزل منذ اسبوعين قد جاء يسأل عني مرة اخرى ثم عاد يسأل مرة ثانية

القاء القبض

وبينما نحن واصدقاؤنا الثلاثة حول المائدة اذا بجرس يدق

وبالخادم يعلن ان الضابط قد حضر فهرولت لاستقباله فانبأني انه مكلف بان يقبض على فسألته هل لديه امر كتابي في هذا الشأن فاخرج ورقة رسمية بامضاء « بدر الدين » وكان مدير الامن العام في ذلك الوقت المعلنة فيه الاحكام العرفية - واراد ان يمهلني حتى اتم عشائي لكني عدت الى الاخوان في الغرفة المجاورة واخبرتهم الخبر وآثرت الخروج مع الضابط على الفور لكنه نصح لي بأن آخذ «مرتبة» و «ومخدة» و « ملاية » فاعددناها وحملها الخادم « مختار » وودعت زوجي واصدقائي وخرجت مع الضابط وقصدنا و « ومختار » من خلفنا الى باب الخلق .

في بلوك الخفر

ووصلنا الى باب المحافظة والى باب سجن الاستئناف وحاول الضابط ان يسلمني لصاحب النوبة فابى بدعوى ان ابواب السجن اغلقت منذ الغروب فاتصل الضابط تليفونيا بحكمدار البوليس وتم التفاهم على ان ابيت ليلتي في « بلوك الخفر » وصعدنا الى الطابق العلوي من بنائه فاستقبلنا فيه احد ضباطه الذي كان معروفا بانه من « تحت السلاح » ولما ذكر له اسمي عرض على المبيت بغرفته الخاصة فابيت فالح وقال اذن في غرفة الضابط الاخر غير صاحب النوبة تلك الليلة فقبلت شاكرا ومضى يصدر الاوامر باعداد الغرفة لكنه عاد بعد وقت قصير يعلن ان مفتاح الغرفة غير موجود وانني سابيت بغرفة فيها « شاويش انجليزى » وأخليت غرفة فسيحة مطلة نوافذها على فناء المحافظة تتوسطها منضدة جلس اليها جندى انجليزى في لباس الجنود الانجليز وعلى ذراعه شارة « الشاويش » وكان وقت دخولي منكبا على الرسم بالاقلام الرصاص الملونة واعد لي ما اعد للنوم عليه من « الواح » من خشب وضعت عليها « المرتبة والمخدة والملاية »

شاويش عجيب

وتركنا الضابط برهة ثم تحدث الى وهو يقول ان امر ذلك «الشاويش» عجيب فهو نجليزي ولكنه يرسم اشكالا لا تدل على

شدة ولعه بانتصار الالمان فهو يصور « غليوم » فى بارجة تغرق البوارج الانجليزية على طول الطريق وطلب الى ان اسال « الشاويش » عن حقيقة أمره فالقيت نظرة اليه فكما كان «الشاويش» الانجليزى منهمكا فى تصويره فوجدته على ما يصفه الضابط حقا فسألت « الشاويش » ايضاحا لما يرسم فقال لى انه سيتحدث الى بعد ان يغادر الضابط الغرفة وقلت لصاحبنا ان الشاويش لا يريد ان يتحدث وانى اريد ان انام فتركنا الضابط واخذ الشاويش يحدثنى .

روسى فى لباس انجليزى

وحدثنى الشاويش الانجليزى فاذا به يخبرنى انه غير انجليزى بل انه اسرائيلى من روسيا قتل متعصبى البروس أهله فى حملة من حملاتهم التى كانوا يشنونها على اليهود فى بعض المناطق فغادر روسيا الى فلسطين وظل بها الى ان قامت الحرب الكبرى فقبضت عليه السلطات العثمانية وخيرته بين ان يصبح عثمانيا فيجند او يظل روسيا فيعامل معاملة الاسير فاختار الجنسية العثمانية وجند واختير لمعرفته اللغة الالمانية ليلحق بالحملة على قناة السويس ووصل معها الى القناة وعبرها مع من عبر من رجالها وقبض عليه عند الضفة الغربية وارسل اسيرا الى « المعادى » وهناك رفع مظلمته الى القيادة العليا للجيوش الانجليزية مبينا انه فى الواقع غير عثمانى بل روسى وانه اذن من الحلفاء لا يصح ان يعامل معاملة الاسرى فقبلت القيادة العليا وجهة نظره لكنها جندته « حليفا » وبعثت به الى « الدردنيل »

وفى حملة « الدردنيل » حارب فى الخنادق مع المتحاربين لكنه حدث من الخندق البريطانى تبادل اشارات مع الخنادق العثمانية فشكت القيادة الانجليزية فى امره واعادته الى مصر لاجراء التحقيق معه . ومن اجل هذا فهو مقبوض عليه .

كلام له خبيء

لكن كيف يسجن جندى انجليزى يراد التحقيق معه تحقيقا عسكريا فى بلوك خفر البوليس المصرى وكيف مر قبل ان يجىء به الى بلوك الخفر بسجن الحدراء بالاسكندرية وكيف تعرف فيه بعبد الغفار متولى احد المقبوض عليهم بمناسبة قنبلة السلطان حسين واحد اصدقائى المقبوض عليهم هناك ولماذا يسرنى انا بذلك كله وهو متأكد من انه سيخرج من السجن قريبا ويشغل باله ان لن يكون له عمل يقتات منه ؟ . لابد ان يكون وراء الاكمة ما وراءها واذن فقد اكتفيت بالاستماع الى تلك الاقوال واكتفيت بان قلت لزميلى المقبوض عليه معى فى بلوك الخفر انه اذا خرج من السجن وكان فى احتياج لقوت فليقصد مسكنى حيث يجد حتما شيئا يسد رمقه .

عند بدر الدين

وامضيت الليلة ... دون نوم .. لا لانى كنت مشغول البال بل لانى لم اكن وحدى فى مضجعى اذ شاركنى فيه عديد من « الحشرات المقلقة » واصبح الصباح وجىء لنا بالفول من باب الخلق ثم اقبل الضابط وطلب الى ان اصحبه حتى وزارة الداخلية حيث اقابل بدر الدين بك وذهبنا وادخلت عند بدر الدين بك فعرض على كراسة مذكرات كنت دونت فيها شيئا من الذكريات وانا طالب بباريس وسألنى هل هى كراستى فقلت نعم . فحرر كتابا سلمه للضابط وقال له انه كتاب لانجرام بك الحكمدار وقال لى ان التحقيق سيجرى معى هناك ودعانا الى الانصراف .

فى الطريق الى الاسكندرية

وكان الخادم « مختار » يعرف منذ البارحة انى ممض الليلة او السهرة ببولك الخفر وكان يعرف فى الصباح انى قصدت الى وزارة الداخلية لمقابلة بدر الدين بك وكان قد ابلغ ذلك كله فى حينه الى زوجى فلما انتهيت من المقابله وجدتها فى انتظارى

فاخبرتها بما جد من امرى وكان علينا اذا ان نمضى الى «المحافظة» نتم فيها اجراءات « ترحيلى » الى الاسكندرية ومررنا فى طريقنا اليها بشارع حسن الاكبر فطلبت الى الضابط المرافق أن يسمح لى بالذهاب الى المنزل لآخذ فيه حماما يزيل ما قد يكون هناك من آثار « الحشرات » التى شاركتنى المضجع فى « بلوك الخفر » وكان الضابط ظريفا فسمح لى بماطلبت وذهبنا معا الى المنزل وانتظرنى حتى اتممت « نعمة الحمام » على .

ومن ثم قصدنا جميعا الضابط وزوجى وانا وخادمنا الى المحافظة وتمت اجراءات الترحيل واريد ان يكون السفر بالدرجة الثانيه فرفضت وانا ممن كان مرتبى فى ذلك العهد يجعلنى انتقل على حساب الحكومة بالدرجة الاولى . واخيرا تصالحنا على ان يكون السفر بالدرجة الثانية

وكان لعدم وجود عربات الدرجة الثالثة بقطار الظهر دخل فى اقناع رجل « الضبط » بالتساهل والرقى بى الى الدرجة الثانية وطلبت الى زوجى ان تسبقنى الى المحطة وركبت من المحافظة عربة حملناها « المرتبة والمخده والملايتين » وركب معى فيها شاويش من رجال البوليس كلف تسليمى الى محافظة الاسكندرية . ووصلنا المحطة وركبنا القطار واحتللنا من القطار « عينا صغيرا » فى نهاية العربة ظللت بها انا وزوجى منفردين حتى محطة الاسكندرية اما لشاويش المرافق فكان كلما وقف القطار على محطة دق الباب وسألنا هل نحن فى حاجة الى « كازوزة او الى قهوة من البوفيه » وهل نحن فى حاجة الى أية خدمة على العموم . ذلك بانى حين كنت راكبا معه العربة من المحافظه الى المحطة ذكرت أن بها عطلة رسمية فلم نجد بها أحدا من الموظفين ووجدنا جماعة من رجال الخفر والبوليس جالسين الى جانب مقر التليفون فصاح بهم الشرطى المرافق بعد ان تبادل واياهم التحية « خذوا هذا النفر السياسى » وتسلمونى منه بايصال وتسلموا ماكان معه من كتاب كان مرسل من بدر الدين بك لانجرام بك وتركنا الرجل ليطوف بالاسكندرية قبل

ان يعود الى القاهرة بقطار المساء وظللت منتظرا الى جانب هؤلاء الخفراء حتى تمت الساعة السادسة واقبل انجرام بك وادخلت عليه فقال لى « انى سانتظر بدر الدين بك حين يجىء من القاهرة ليجرى معى التحقيق وسأل عن سجن الحدراء هل يستطيع استقبال ضيف جديد فاجيب كما اجيب ضابطى بالامس ان الابواب قد اغلقت لان الشمس قد غربت فامر بان امضى الليلة فى قسم محرم بك . واخرجونى من طريق غير الطريق التى كانت زوجى تنتظرنى فيه فغابت عنى وغبت عنها . وقصد بى إلى مخفر البوليس .

فى الطريق الى السجن

وامضيت الليلة هناك ونمت نوما عميقا كنت فى كبير الحاجة اليه ولم استيقظ منه الا بعد ان ايقظنى الحارس واخبرنى ان الساعة دقت الثامنة ومن هناك اخذونى واخذوا معى « المرتبة والمخدة والملايتين » الى سجن الحدراء ومررنا فى طريقنا اليه بفندق كنا نعتاد النزول فيه صيفا وحسبت زوجى قد نزلت فيه فنجحت فى أن أترك لها خبرا بانى قد انتقلت الى سجن الحدراء وارجو ان يصل الى فيه ما أتوق الى تذوقه فى الصباح من لبن مخلوط بالقهوة .

دمعة حارة

ووصلنا الى السجن ودق الشرطى على بابه وفتحت طاقته الصغيرة ودخلت منها واخذت اقرأ ما هو معلق على جدران المدخل من عبارات « التهذيب وما اليه مما جعلت له السجون »

ثم تسلمنى وكيل السجن وقصد بى الى مكتب المدير وسجل الاسم واجريت الاجراءات وطلب الى ان اسلم كل ما معى من نقود واشياء ثمينة وسلمت ما كان معى من نقود وسلمت ساعتى ولمح مدير السجن فى اصبعى « خاتم الزواج » فطلب منى ان اخلعه فرفضت فالح فالححت فى الرفض وقال لى ان لوائح السجن

تقضى بما يطلب وشرح لى حكما اللوائح وارجعها الى الخوف من ان يغرى « الخاتم » احد المسجونين فيطمع فى الاستيلاء عليه فيرتكب فى سبيله جريمة اوجرائم واقتنعت بهذا التدليل وخلعت على كره منى الخاتم من اصبعى وانهمرت من عينى دمعات لن انسى حرارتها ابد الدهر .

حافظ عفيفى والكمباشى

واخذنى وكيل السجن وادخلنى بهوة الفسيح وقال لى بأن بالسجن بلوكين فى الدور الارضى من احدهما ينزل شفيق منصور ونجيب الهلباوى وعبد الغفار متولى وشمس الدين ومن اليهم وفى الدور العلوى من ثانيهما ينزل الاستاذ عبد المقصود متولى وبعض الاخوان المحامين والاساتذة وسألنى وكيل السجن اى جناح اختار فقلت الدور العلوى مع صديقى عبد المقصود فاجاب الواقع انه جناح صحى لارطوبة فيه وقد كان فيه الى نهاية الاسبوع المنقضى حافظ عفيفى والكباتى وسأنزلك فى محل احدهما قلت على بركة الله .

وقصدنا الى ذلك الجناح « الصحى » ووجدت غرفة واول غرفة لانى لم اكن اعرف بعد انها « زنزانات » مفتوحة ابوابها وبعض المساجين « لعاديين يلمعون » اسفلتها ووجدت بينهم صديقى وزميلى فى المدرسة التوفيقية وفى مدرسة الحقوق الاستاذ عبد المقصود متولى المحامى فلما لمحنى قال . الله ماذا جاءبك الى هنا ؟ قلت لاعلم لى وتصافحنا اذ كان موقفه فى طريقى الى « غرفتى » ووقفنا عند باب هذه الغرفة بدورى الى ان تم اجراء اللحظة فقيل لنا بالدخول فدخلنا ودخلت معى كذلك - من باب الاستثناء « المرتبة والمخدة والملايتين » واقفلت الباب .

من غير معرفة السبب

وعند ئذ لمست انى فى السجن اذ أحسست وحشته وأحسست ضيق « زنزانته » واحسست بخاصة شيئا من الثورة النفسية لانى لم أكن أعرف لماذا قبض على .

اسبوعان فى سجن الحدراء

أغلق السجان باب « الزنزانة » ومر « بالزنزانات » المجاورة لغلق ابوابها كذلك فكان الصوت الناشيء من اصطدام كتافتها بالحائط هو الذى استمعه على التوالى بينما كانت الاصوات البشرية تختفى الى ان خيم السكون ولم يكن يستمع غير صوت وقع احذية المساجين على الاسفلت واحتكاك بعض المفاتيح ببعضها وهم عائدون واذا كنت قد أحسست عند ذلك شيئا من الغرفة فانى لم أحس شيئا من الوحشة لان ضوء النهار كان منتشرا وشيئا من اشعة الشمس كان يلقى خيالا على حائط «زنزانتى» من الداخل وهو خيال لعنصر حى يؤنس

الزنزانة

واخذت احيط « الزنزانة » ببعض نظرات فاذا بها حجرة طولها متران ونصف تقريبا وعرضها متران أو يقل عنهما شيئا وارتفاعها كطولها ولها نافذة مربعة لايزيد طول ضلعها عن الخمسين سنتمترا ان لم يقل . تطل من أعلى الحجرة على فناء السجن وتتخللها قضبان من الحديد وارضية الحجرة من الاسفلت الاسود اللامع وخمسا الحوائط من اسفل مدهونان بدهان زيتى لونه قاتم وثلاثة اخماسها العليا « مرشوشة » بالجير « السماوى » اما الاثاث فسرير حديدى اعد بمعدات النوم العادية وكرسى من الخشب الباقى على لونه الطبيعى ومنضدة من الصاج المدهون عليها « قلة » وكوب ثم « جردل »

الطــــابور

وجلست على السرير «اتأمل» وبقيت فى تأملاتى ساعة الا قليلا سمعت بعدها اصوات مفـاتيح تعمل فى ابواب واصوات نـاس تتجاوب بها الاركان ثم أحسست المفتاح يعمل فى باب « زنزانتى » ورأيب الباب يفتح والســجان يدعونى الى الطابور وخــرجت من الزنزانة والتقيت بالزمــلاء « السياســيين » ولا حظت ان زنزاناتنا غير متلاصقة بل مفصولة الواحدة منها عن الاخرى بزنزانة يحتلها احد المحكوم عليهــم فى جريمة عادية وكانت ابواب زنزانات هذا النوع الاخير مقفـلة على من فيهـــا .

ونزلت الى « الطـــابور » و « الطابور » اجتماع المقبوض عليهم فى السجن سياســـيا يقفون فى فنائه صفين متقابلين ظهورافراد كل صف الى بناء الجناح النازلين فيه ويبعد كل فرد من افــراد الصف الواحد عن الفرد المجاورله مترين أو يزيد وحـــركات « الطابور » سير الى الامام حتى منتصف الفناء وعودة الى نقطة الابتداء ثم استئناف السير والعودة

ويشرف عــلى الطـــابور « شاويشـــان وباش شاويش » ويريد الباشــجاويش ان يبــين سلطانه فيصيح بين آونة وأخرى بالسكوت والاحتفاظ بالمســافة وبالاسراع فى السير لكن هــذه الاوامر بطبيعة الحال لاتحــول دون اقتراب ودون التحدث ، ألم يكن هؤلاء المقبوض عليهم تلاميذ فى مــدارس وعــرفوا كيــف « يحــدون » عــلى المدرســين والضباط فى « الفصول » وفى « الطوابير »

ثلاثة وثمانون يوما دون تحقيق

واستطعت خلال الطابور الاول أن أقــترب من صــــديقى وزميلى فى مدرسة الحقوق وفى المدرسة التوفيقية من قبــل — الاستاذ عبد المقصــود متــولى المحامى . وان اتحدث اليه وان اعرف انه قد امضى ثلاثة وثمانين يوما فى السجن دون ان يسأله

أحد ودون ان يوجه اليه احد تهمة فهو لايدرى لماذا قبض عليه وماذا سيكون مصيره وكان فى هذا تهدئة لى وطمأنينه . اذ وطنت النفس على ألا أنتظر سؤالا ولا تحقيقا قبل ثلاثة وثمانين يوما على الاقل .

وسألنى صديقى عن سبب انبض على فحرت جوابا ، وتبادلنا شيئا من ذكريات الصبا وسخرنا معا من المقادير وألاعيلها وأخذنا حالتنا بما لامفر من اخذها به . بالابتسامة والضحك من الاعماق

طعام الدرجة الاولى

وعدنا الى جناحنا ودخلنا زنزانتنا وجىء لنا بطعام الغداء فيها وهو طعام من « الدرجة الاولى » بين درجات الطعام فى السجون وكنث قد سألت عن « بيانه » فوجدته جديرا بالتقدير وألوانه « مكرونة » و « بفتيك » و « فاكهة » بالنسبة « لفندق » الحدراء لكن اقترب من هذه الالوان وابدأ فى تذوقها تجد انها غير قابلة للبقاء فى الفم لحظة فالمكرونة عتيقة والزبدة أو السمن أو الزيت أو الشحم أومالا أدرى ماذا صنعت به غير محتملة (زناخته) (والبفتيك) لاتعمل فيه السكين الا بصعوبة ولاتقوى الاضراس على مضغه ولا الخياشم على رائحته و (التفاحة) وجيهة المنظر لكنها عفنة المخبر واذن لم يكن لى نصيب من هذا الغذاء الذى لاتعود الفائدة منه حتما الا على « متعهدى توريده» للسجون وسألت السجان عما يقدم للعاديين من المحكوم عليهم فناولنى قطعة من الخبز اشبه بالاجر لكنها لذيذة الطعم وخليطا من الخضر لم اتبين انواعها فاستسغتها هى الاخرى وسألت عن طعام العشاء فانبئت عن بيانه فوجدته فاخرا هو الآخر لكنى « أوصيت » بالاكتفاء عنه ببيضتين « مسلوقتين » و « بسلطانية من اللبن الزبادى»

طعامى الخاص

ومر مرة مدير السجن بعد الظهر يسأل عن نصيبى من الراحة فرجوته اذا ماجاءت زوجتى للسؤال عنى ان يطلب اليها اسعافى بطعام خاص فاستوضحنى بيانه فقلت « لبن وقهوة » فى الصباح فقال ان هذا مستحيل لان « القهوة » من « المكيفات » الممنوع ادخالها الى المسجونين قلت ولكنى لا استسيغ اللبن وحده ان لم يكن مثلجا قال سأفكر فى طريقة وكانت الطريقة ان وصلت الى فى صباح اليوم التالى واستمر الوصول طوال الايام التى قضيتها هناك زجاجة فيها لتر من اللبن الممزوج بالقهوة وقيل لى ان هذا المزيج هو الذى انقذ الموقف لان القهوة لم تصبح مستقلة واذن فليس فيما يصل الى شىء من المكيفات وعرفت ان بركات « الفتاوى » قد حصلت هى الاخرى بادارة السجون وقد تغلبت على احكام لوائحها فى مصلحة السجون وفى هذا خير وبركة حقا

احرج موقف

وفى صباح اليوم التالى ـ طلب الينا ـ والينا نحن المسجونين عامة السياسيين منا والعاديين ان نذهب لقضاء حاجتنا الطبيعية ودلونى انا الحديث على مكان « بيوت الخلاء » فقصدت اليه فوجدت مجموعة منها لا يفصل بين بعضها وبعضها الآخر فاصل ووجدت ناسا مصفوفين اليها صفا قاعدين القرفصاء فى غير حياء أقشعر بدنى لهذا المنظر وارتعدت فرائصى وقفلت راجعا الى « زنزانتى » ثائرا على هذه « الوحشية » المتجلية تنظمها الائحة من لوائح ادارة حكومية منتظمة وطلبت ان اتحدث بشأنها الى رؤساء السجن وفقدت بطبيعة الحال كل رغبة فى قضاء ماتقضى به الطبيعة وتحدثت فى ذلك الشأن فرد على بان هذه حال تسرى على الجميع ، أما أنا



فأخرجت يديها وقالت : لاشيء كما ترى !...

فلست فى هذا من الجميع وتصالحنا على ان يكون استدعائى لقضاء تلك الحاجة فى الصباح وفى المساء بعد ان تنتهى المدة المحددة للجميع على أن أكون فى ذلك المكان الدقيق وحدى على انفراد . والحق انى لست ادرى كيف لا يزال هذا النظام «الوحشى» مستمرا تطبيقه الى الآن وللحياء حكم وللبشر حرمة

بعد اسبوع

وبعد أسبوع دعيت للذهاب الى محافظة الاسكندرية حيث اجرى معى بدر الدين بك تحقيقه الاول وقد دار حول تلك الكراسة التى كانت واحدة من عدة كنت اضمنها مذكراتى اليومية وانا طالب بباريس وكانت تلك الكراسة متضمنة ذكرياتنا عن ربيع عام ١٩٠٩ وصيفه وقد وجدتها بين يدى بدر الدين بك وقد عمل فى صفحاتها قلمه الاحمر تارة والازرق تارة أخرى وميزت بعض هذه الصفحات بوريقات كتبت فيها ملاحظات

امتحان ذاكرة

وكانت الاسئلة متجهة الى تحديد « اشتغالى بالسياسة » وأنا بباريس أو عدم اشتغالى بها وكان ميل المحقق الى اثبات « الاشتغال » وكان ميلى الى دفع الاتجاه الى الاثبات وأراد بدر الدين ان يستدل على الاشتغال بفقرة من فقرات المذكرات فسأل . كيف لم تكن تشتغل بالسياسة وقد ذكرت بتاريخ ١٤ سبتمبر انكم اجتمعتم بالجمعية المصرية بباريس لارسال تلغرافات احتجاج على الاحتلال لمناسبة دخول الجيش الانجليزى مدينة القاهرة فى مثل ذلك اليوم ؟ وكتب لى ان استذكرت كل ماكان مدونا فى تلك الكراسة من مذكرات فرددت على هذا السؤال بقولى ارجو من حضرة المحقق ان يستمر فى قراءة الفقرة الخاصة بذلك الاجتماع من مذكراتى .. فقال بدر الدين بك « بلاش السؤال ده » فأصررت على طلبى فقال انه متنازل عن

السؤال فهددت وقد أحسست ضعف المحقق فى موقفه بعدم الاجابة عن أى سؤال آخر اذا أنا لم اجب الى طلبى فقرأ بدر الدين بقية الفقرة وأثبتها الكاتب فى محضر التحقيق واذا بها تقول ان « عبد الحميد سعيد عرض على الجمعية ارسال برقيات الاحتجاج الى مصر والى انجلترا فلاحظ أعضاء بعثة الجامعة المصرية — وهم سيد كامل وتوفيق الساوى ومنصور فهمى ومحمود عزمى أن اقتراح عبد الحميد سعيد اقتراح بعمل سياسى وانهم بحكم كونهم من بعثة الجامعة المصرية لا يستطيعون الاشتراك فيه فأقرتهم الجمعية على موقفهم وأرسلت البرقيات دون ان تتضمن توقيعهم وعقبت على هذه الفقرة بأن أثبت فى المحضر أنها « حجة لى لا على »

حادثة مختلقة

وانتقل بدر الدين الى سؤال آخر وقال « واذا لم تكن تشتغل بالسياسة فمن هم اذن أولئك الروس الذين كنت تجتمع بهم وكنت تتحمس حماسهم حين كانت ترد عليهم انباء الثورة من بلادهم فأجبت « انى لا ادرى ان ثورة فى روسيا سنة ١٩٠٩ حتى يكون لها انباء وحتى تعقد لتلقى هذه الانباء اجتماعات وحتى نتقبل هذه الانباء فى حماس فاذا كان لدى حضرة المحقق علم بهذا الحادث التاريخى فليتفضل بادلائه لعلى اذكر لمناسبته شيئا » فأجاب ننتقل الى سؤال آخر فطلبت قبل الانتقال ان يدون فى المحضر عدم ورود شيء فى مذكراتى عن هذا الحادث الذى بنى عليه المحقق سؤاله عليه أو ان يدلنى على موضع الاشارة اليه فى مذكراتى اذا كان فيها شيء بخصوصه فتردد بدر الدين وألححت وأخيرا تضمن المحضر عدم ورود شيء فى مذكراتى عن ذلك الحادث الذى ابتكره المحقق ابتكارا

ولكن

وأحسست بعد ذانيك الموقفين انى متفوق على حضرة المحقق وانى متغلب عليه لامحالة ، ولكن نعم ولكن .. ولكن بدر الدين وقد اعتدل فى كرسيه ونظر الى على غير عادته

قال « واذا لم تكن حقا تشتغل بالسياسة فما قولك فى ارسالك بطاقة الى صديقك « احمد وفيق » تقول له فيها انك ارسلت كتابا الى صديقكما « نجيب » متضمنا ماتراه من رسائل فعالة لاخراج الانجليز من مصر وهى فى نظرك ليست الا وسائل القوة وتسيرا فيه الى انه يمكن الحصول من طريق طرابلس على معدات تلك الوسائل الفعالة ؟

ووقع منى هذا السؤال موقعا « غير ظريف » واردت الاستجمام بعض الشيىء للرد عليه

فقلت « ماهذا الكلام » قال بدر الدين « هذا كلام مدون فى مذكراتك اليست هذه كراستك ؟ » قلت نعم قال او ليس هذا خطك قلت نعم قال اليس هذا هو الوارد فى هذه الصفحة من الكراسة واعاد تلاوته وعقب عليه بقوله : « فما رأيك فى هذا » قلت « رأيى انه كلام شباب وقد كانت سنى لاتجاوز العشرين فى الوقت الذى كتب فيه » قال بدر الدين « هذا كلام غير مقبول » قلت هل تنكرون أن للعقل فترة تكون وانه لاحساب على الاراء التى تجول بالخواطر خلال هذه الفترة ؟ » وانطلقت اشرح نظرية الملكات وتكوينها والافكار وعناصرها والاعمال واتصالها بالافكار ومااالى ذلك من آراء .

واعدناه الى السجن

وتركنى بدر الدين اشرح مااشرح واقرر مااقرر و « اتفلسف ما اتفلسف » ولم يعقب على ذلك كله الا باملائه على كاتب التحقيق عبارة قفل المحضر وختمها بقوله : وأعدناه الى السجن .

ليـــلة بيضــاء

وعدت الى السجن بعـد أن نجحت فى المرور بالمكان الذى كانت تنزل فيه زوجى وتركت لها بطاقــة تنم عن شىء من احساسى بعد هذا التحقيق الاول - وعدت مطرقا مفكرا وامضيت الليلة كلها فى التفكير وقد تمثلت أمامى صــفحات « قانـون العقوبات » .

وتمثلت مواده وتمثل منهـا ماهو متعلق بالتحريض على الثورة وما يتبعه من عمل فعل ومالا يتبعه ماتتم معداته وما لاتتم وتمثل ذلك كله واضحا جليـا بحيث كـنت أرى المـواد رؤية وأرى الصفحات التى تضـمنتها الى اليمين او الى الشمال وتمثلت ماورد فيها بخاصة من عقوبات ثم عقبت على هـذا التمثيـل جميعه بانها مواد وعقوبات تطبق فى « المحاكم الاهلية » فى الايام العــادية واننا فى ذلك الوقت نعيش فى حالة حـرب تجـرى عليها الاحكام العرفيـة وتطبق هـذه الاحكام المحاكم العسكرية « الانجليزية » التى ورد فى ذلك الـكتاب ماورد عن طريق اخراج « جيوشها » من مصر

نصيحة خالصة

وقصـــدت زوجى الى بدر الدين تسـأله عن الموقف بعد التحقيق « ففتح لها محضرا » دون لها فيـه شـهادة أراد أن يتعـرف خلالهــا عـن ذلك « النجيب » الذى ورد فى مذكراتى انى بعثت له بـذلك الـكتاب الخطير وكان بدر الدين يحسبه « نجيب الهلبــاوى » بطـل المقبوض عليهم فى حادث القنبلة على موكب السـلطان حسـين الحادث الذى يتصل به التحقيق معى فلم يفز منها بشىء ممـاكان يؤمله ولمـا لفتت نظره الى انها انما قصـدت اليـه لتعرف شيئا عن مدى التحقيق معى لا لتتقدم اليه بشهادة نصحها بأن تعود الى القاهرة لان التحقيق معى سيطول مداه لانه « لالزوم لتحملهـا نفقات اقامتهـا فى

الاسكندرية » فسألته هل يستطيع تحديد هذا المدى ولو على التقريب فأجاب بالسلب فاستوضحته من هو رئيسه الذى يشرف على التحقيق الذى يجريه فقال انه رشدى باشا وزير الداخلية ورئيس مجلس الوزراء .

فى القاهرة

وعادت زوجى الى القاهرة وتحدثت الى حسن باشا عبد الرازق كى يمهد لها سبيل مقابلة رشدى باشا — وكان حسن باشا فى ذلك العهد وكيلا للديوان العام فدلها على ان عميد اسرتنا درويش بك سيد احمد من اصدقاء رشدى باشا واستحسن العاشرة من صباح ذات اليوم أن تكون المقابلة عن طريقه وكان ان طلب درويش بك الى رشدى باشا موعدا لتقابله فيه زوجى وحدد هذا الموعد ضحى يوم بمنزل رشدى باشا بجهة قصر العينى .

ماذا تحملين فى يدك

وقصدت زوجى الى منزل رشدى باشا وانتظرته فى قاعة الاستقبال التى كان ينتظر فيها ايضا احمد بك عبد اللطيف وكانت زوجى جالسة فى طرف القاعة وكان الفصل شتاء وكانت « بدعة » الزى فى ذلك الوقت ان يكمله « المانشون » وكانت زوجى واضعة يديها فيه فلما اقبل رشدى باشا ورآها على هذه الحال وقف فى مدخل الغرفة وسألها ماذا تحملين فى يدك فاخرجت يديها وقالت له لاشىء كما ترى « فقال ان زوجى هى التى حذرتنى وانا نازل لاستقبالك فقد قالت لى انك روسية ومن يدرى كل ما تستطيع الروسيات ان يقدمن عليه ..

وكانت مناسبة ظريفة للتحدث فى موضوعى بحضور نقيب المحامين الاستاذ احمد عبد اللطيف وكانت زوجى تريد فقط ان تعرف هل سيطول سجنى او سيقصر وهل سيعقبه افراج

عنى أو ارسال الى « مالطة » كما كان يحدث للمعتقلين السياسيين فى ذلك العهد

رشديات

وقد بدأ رشدى باشا يشكو انشبان المصريين ، وعدم تقديرهم دقة الظروف التى تجتازها البلاد والمخاطر التى قد تعرضها لها اعمالهم فقالت له زوجى وهل من العدل أن تحاسبوهم على ما كان يجيش فى صدورهم أيام شبابهم الاول من آمال لاجل مصر ومن عواطف نحوها او لم تكن انت ياباشا مثلهم لما كنت فى مثل سنهم فاعتدل رشدى باشا « انا لقد كنت اكثر حماسا منهم واشد التهابا ولو جاءت السلطات العسكرية وفتشت الان منزلى لوجدت من اوراق ذلك العهد ومذكراته مالو حوسبت عليه لقذف بى الى قاع البحر الابيض المتوسط .

قالت له زوجى « واذن ؟ » أجاب « واذن .. لكن قولى لى « هل انتما هنيئان فى زيجتكما ؟ » فقالت « بل نحن على خير ما يحلم به زوجان من سعادة » قال وانا لا احب ان تحطم هناءتكما وسيخرج عزمى من السجن « قالت متى ؟ - قال غدا وسأعطى التعليمات من الوزارة بمجرد وصولى اليها الان قالت - قد تنسى ياباشا وها هو التليفون الى جانبك الان فهلا تحدثت قال فليكن .

الامر للسجن مباشرة

وامسك رشدى باشا التليفون وطلب محافظة الاسكندرية وسأل عن بدر الدين فوجده غائبا فقال اعطونى سجن الحدراء وتحدث الى مأموره مباشرة وطلب اليه ان يرسلنى الى القاهرة لمقابلته بأول قطار يقوم فى صباح اليوم التالى .

أزوزه ..

ونحو الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم استدعانى مأمور

السجن الى مكتبه واخبرنى انلديه خبرا يسرنى هو انى عائد الى القاهرة بقطار الصباح الباكر واضاف انه يود ان يشاركنى السرور فقدم لى زجاجة « الازوزة » ، فاستغربت تقديم الكازوزة فى فصل الشتاء مع ملاحظة ان مدام عزمى كانت تلبس « الماتششون » ، ولكنى شكرته وتناولتها ولا أزال أذكرها ، زجاجة من زجاجات كازوزة الاسكندرية ذات « البلية » وكان طعمها لذيذا وقد تذوقته بعد اسبوعين قضيتهما فى السجن ولما انتهيت من شرب الكازوزة واستأذنت فى العودة الى زنزانتى حتى الصباح همس هامس فى اذنى انزوجى وراء الباب وان فى استطاعتى ان اراها اذا التفت .

وكانت بمجرد ان اتم رشدى باشا حديثه التليفونى مع ادارة السجن قد هرولت الى محطة القاهرة ولحقت القطار الذى يغادرها ظهرا ووصلت الى الاسكندرية تتأكد من تنفيذ الاوامر وترافقنى فى عودتى فى سبيل الانطلاق كما كانت ترافقنى فى الذهاب فى طريق السجن

بدر الدين

وكان بدر الدين بك قد حدد لاستئناف التحقيق معى الساعة التى غادرت فيها الاسكندرية وكان قد ملا اندية الاسكندرية اعلانا بأنه قد وضع يده على « رأس العصابة » وكان يود ان يحسب احد افرادها « شمس الدين » بحكم كونه تلميذى فى مدرسة التجارة هو الواسطة بينى وبينها ودق التليفون من المحافظة الى السجن يبلغ اوامر بدر الدين بك باستحضار المسجون السياسى محمود عزمى فأجيب بدر الدين أن عزمى بأمر رئيس الوزراء فى طريقه الان الى القاهرة ــ



٦ مناديل حريريه

وغادرت سجن الحدراء فى الصباح الباكر وقصدت ومعى جاويش من رجال البوليس الى محطة الاسكندرية فى عربة حملناها ملابسى التى كانت قد أرسلت لى فى السجن كما حملناها « المرتبة والمخدة والملايتين » التى كنت قد اخذتها مساء القبض على فى القاهرة وفى المحطة التقينا بزوجى وركبنا القطار ووصلنا الى القاهرة فى الضحى وقصدنا الى رياسة مجلس الوزراء بعد ان مررنا فى طريقنا بالمنزل حيث نزلت زوجى وانزل ما كان معنا من امتعة ـ واعلنت لرشدى باشا وادخلت فى مكتبه وكان معه جعفر والى باشا وكيل الداخلية اذ ذاك فاخبرنى رشدى باشا انه امر بالافراج عنى وبعودتى الى التدريس بمدرسة التجارة كما كنت ونصح لى بعدم الاشتغال بالسياسة فى تلك الايام العصيبة وطلب الى جعفر باشا ان ينهض ليتم اجراءات الافراج عنى بسرعة اذ تنتظرنى « الست حريمى » على حد تعبيره ـ واذن كان أمرى يهم جعفر باشا

فى مكتب وكيل الداخلية

وقصدت مع جعفر باشا الى مكتبه فاصدر اوامر بتسليم رجل البوليس الذى صحبنى من الاسكندرية كتابا يعود به الى محافظة الاسكندرية . واذ كنت قد سمعت رشدى باشا يقول لجعفر باشا ان امرى كان يهمه فقد شكرت له اهتمامه وسألته سببه فأجابنى بأن مستر سيمندر ناظر مدرسة « التجارة »

- وقد كان فيما مضى استاذه في المدرسة التوفيقية - كان يسطره كل يوم سؤالا عنى وعن سبب القبض على وعن مصيرى فى السجن وكان يتبع سؤاله كل يوم بشهادة حسنة فى .

فى مدرسة التجارة

وعدت الى المنزل وعدت الى تناول الطعام الشهى فيه ثم قصدت بعد الظهر الى مدرسة التجارة وقابلت ناظرها وشكرت له اهتمامه بى وسؤاله عنى فعلمت ان جعفر باشا كان قد اخبره ان سبب القبض على يرجع الى العثور عندى على مذكرة كتبت فيها انه يجب اخراج الانجليز من مصر وانه لابد من استعمال القوة فى ذلك السبيل وسألنى مستر سيمندر هل هذا السبب صحيح فاجبته انى لا ادرى على التحقيق السبب الصحيح للقبض على واضفت انه لو كان هذا السبب هو الصحيح لكنت باقيا فى السجن الى ان اقدم للمحاكمة العسكرية فقال رحمة الله عليه - وكان طيب القلب سليم النية - اذن كان القبض عليك غير مشروع واذن يجب ان تقاضى الحكومة على مافعلت قلت ربما يكون هذا ميسورا فى الايام العادية اما والاحكام العرفية معلنة فيجب الاكتفاء بحمد الله على ان وقفت اجراءات القوم عند هذا الحد واخرجت نفسى هكذا من مأزق اسئلته المحرجة .

عند وزير المعارف

وبعد يومين استدعيت لمقابلة وزير المعارف - وكان عدلى باشا - فقصدت الى الوزارة وادخلنى عليه - شريف بك صبرى - وكان اذ ذاك سكرتيره الخاص وكانت هذه هى المرة الاولى التى مثلت فيها امام عدلى باشا فاستقبلنى فى لطف وسألنى كيف معاملتى فى السجن ثم نصح كما نصح رشدى باشا من قبل بالابتعاد عن السياسة وعن مواطن الشبهات واضاف انهم فى مثل

هذه الاحوال ينظرون عادة فى أمر عودة الموظف الى وظيفته او عدم عودته اليها وفى استحقاقه مرتبه عن مدة الاعتقال او عدم استحقاقه لكنه قرر عدم التعرض لهذين الامرين بالنسبة لى واذن فلأستأنف عملى كأن شيئا غير عادى لم يطرأ فشكرت له وانصرفت وقد ترك حسن استقباله ووداعة حديثه فى نفسى أحسن الاثر .

صاحبنا الروسى

وبعد ايام جاءنى فى المنزل ذلك « الشاويش الانجليزى » الذى وجدته مقبوضا عليه فى بلوك الخفر ليلة القبض على فى القاهرة والذى عرفت منه انه كان روسيا وكنت قد اعطيته عنوانى ليقصد ليه اذا هو اصبح بعد الافراج عنه فى حاجة الى وقص على أنه قد حوكم وبرىء وأصبح شخصا مدنيا عاديا وانه فى حاجة الى عمل ليكسب منه قوته وفى حاجة كذلك لبعض ملابس فاعطيته بعضها ونفحته بجنيه واعطيته كتابا يتقدم به لروسى كان يعمل مصورا فوتوغرافيا فى مصر الجديدة يجد عنده عملا .

وبعد ايام قابلت هذا المصور وسألته عن صاحبنا فقال انه لم يره وانه لم يتسلم من احد كتابا حررته فحملت التصرف محمل ما اعرفه من تصرفات العديدين ممن يقصدوننى واضفت « الفصل » الى قائمة « الفصول الباردة » التى يأتيها آدم وحواء

من رجال البوليس السرى

لكن لم تمض ايام حتى جاءنى صاحبنا من جديد يعتذر عما فرط منه ويقر فى صراحة انه فى الواقع من رجال البوليس السرى الذين يستخدمهم « فلبيدس » وانه مكلف بمراقبتى وانه مكلف ايضا بمعرفة اسماء من يترددون على منزلى وسألنى رايى فيما يضمنه تقريره الذى يجب ان يرفعه لرؤسائه فامسكت بذراعه واخرجته من المنزل وقلت له ان يضمن تقريره هذه الحقيقة

حقيقة طردى اياه وان يكف عن زيارتى والتقدم الى لاى مناسبة من المناسبات وعبثا حاول المسكين ان يقنعنى باستعداده لان يكون رهين اشارتى فيما اريد ان يضمنه تقريره الذى يجب ان يقدمه ـ اكلا للعيش ـ فرفضت استمرار التحدث اليه وأغلقت الباب فى وجهه .

دقة تليفون

لكنى فوجئت بعد عدة اسابيع بدقة تليفون سمعت خلالها صوت « صاحبنا » يطلب ان اقابله فرفضت فالح وقال ان موضوع المقابلة امر خطير يهمنى فرفضت فالح من جديد وعين جهة النيل من ناحية الجزيرة مكانا للمقابلة فلم اعبأ به وبموعده ولم اذهب . وفى صباح اليوم التالى وجدته امام « العمارة » التى كنت اسكن فيها بشارع حسن الاكبر فنهرته وعبست فى وجهه لكنه اصر على التحدث الى مرارا مصرا ان امرا قد صدر لرجال البوليس السرى بتفتيش منزلى فى منتصف الليل ولما كان يعرف انهما منزلا صديقين لى فقد جاء يخبرنى الخبر لعلى اخطرهما بالنبأ فى الوقت المناسب وكان هذان الصديقان هما عبد الحميد بدوى باشا وتوفيق السنوى باشا فهرولت اليهما وكان احدهما يقطن بميدان عابدين والاخر بشارع محمد على ـ وافضيت اليهما بما اتصل بى من نبأ خطير واحسبهما قد اتخذا للموقف ما هو جدير به من حيطة وعلمت منهما فى الصباح ان البوليس قد نزل بمنزليهما فعلا عند منتصف الليل وأجرى فيهما تفتيشا دقيقا

اين هو

واذن فقد كان « الجاسوس » صادقا وقد حاولت الالتقاء به لمكافأته لكنى لم اعثر عليه ولم اسمع عنه ولا ادرى ماذا كان مصيره ومن يدرى اين هو الان وكان قد اخبرنى حين ابلغنى نبأ تفتيش منزلى الصديقين انه سيفر من وجه البوليس فرارا لانه لا يطيق العمل فى البوليس السرى .

فى قطار حلوان

وهكذا اسدل الستار على مضاعفات حوادث القبض على لمناسبة القاء القنبلة على موكب السلطان حسين سنة ١٩١٥ ، ولم يجدعليها سوى أنى كنت يوما قاصدا الى حلوان وكان القطار الذى ركبته من محطة « باب اللوق » يقف بمحطة « السيدة زينب » ولما وقف هناك وجدت شخصا يركب فى « العين » التى كنت راكبا فيها ويجلس بجانبى وانظر اليه فاذا هو « بدر الدين » تبادلنا التحية وبادرنى بسؤالى عن وجهتى ؟ فقلت الى « حلوان » فقال فى زيارة ؟ فقلت هل هو تحقيق جديد ؟ وابتسمنا واخذنا نقرأ الصحف صامتين الى ان وصل بنا القطار الى حلوان فافترقنا على غير موعد .

كيف عثر على بدر الدين

بقى ان ادون ظروف عثور بدر الدين على أو فى — على التعبير الاصح . والذى حدث فى هذا الشأن هو أنه لما القيت القنبلة على موكب السلطان حسين بالاسكندرية اتجهت الشبهات الى بعض طلبة المدارس فقبض عليهم وكان بينهم طالب طب هو عبد الغفار متولى وكلف بدر الدين بك وكيل ادارة الامن العام فى ذلك الحين بالتحقيق معهم وكان من أساليبه أن يوسع دائرة التفتيش والاعتقال والتحقيق ما استطاع الى التوسع سبيلا

واذن كان بين المعتقلين «متولى» فقد وجد فى نظر بدر الدين ان تفتش منازل جميع أقارب هذا « المتولى » وأن يقبض عليهم وأن تؤخذ أوراقهم جميعا والاستاذ عبد المقصود متولى المحامى شقيق عبد الغفار فكان محتوما أن يلقى عليه القبض وهذا هو ما كان وكان محتوما أن تضبط أوراق عبد المقصود كلها وهذا هو ما كان أيضا وكان بين هذه الاوراق « أجندة » جيب ، فيجب أن تقرأ مذكراتها بدقة وعنايه وورد فى المفكرة اليومية اشارة الى تناول العشاء عند «محمود عزمى» فيجب تفتيش منزل «محمود عزمى» ثم القبض

عليـه ، أما ظروف ورود هـذهالاشارة الى تناول العشاء فهو انا كنا مساء بنادى المدارس العلياقبل أن تغلقه السلطة العسكرية وتحرم الاجتماع فيه فتسلم عبدالمقصـود طردا من المحلة فتحـه أمامنا فاذا فيه اثنى عشر منديلامن الحـرير عـرضها علينا فقلنا « شيء جميل » وكانتزوجى معناوقالت هى الاخرى « شيءجميل » واذنفقدقال عبد المقصود«تفضلى»فشكرت معتذرة فألح وألحت فى الاعتذار وانتهى الامر الى اهـداءعبد المقصودايا اها سته منالمناديل الحـريرية «المحـلاوية» فرأيت أنتدعوه لهذه المناسبه الى تنـاول العشاء وتحدثنا فىالموعدوحددناهوسجله عبد المقصود فى مفكرته وكان هذا كافيا لان يكون ظرفاللقبض على لمناسبة القاء القنبلة فى الاسكندريةعلى موكبالسلطانحسين

حكاية مذكرتى

أما تلك الكراسة التى وجدتضمن أوراقىوتضمنت ماتضمنت من اشارة خطيرة الى وجوباخراجالانجليز من مصر ووسائل هـذا الاخراج فحكايتها عجب ذلكبأنىحين قصدت الى باريس طالبا فى صيف ١٩٠٨ رأيت أن أدون فى مذكرات يوميةتتضمن مشاهداتى وتأثراتى فى العاصمة الفرنسيةالكبرى يلذ لى بطبيعه الحـال أن أقرأها بعـد سـنوات وسـنواتوأقيس عن طريقها مدى ما يكون قد نالنى من تطورفكرى ولاسيماانى قصدت الى باريس ولم أكن أتجاوز التاسعة عشرة وحدث أندونت بالفعلمذكرات فىثمانى أو تسع كراساترأيتمن باب الحيطةأنأخفيهاعندعودتىالى مصر سنة أخفيها عند عودتى الى مصرسنة١٩١٢ ثم أحرقها حـين أعلنت الحرب الكبرى سنة ١٩١٤ ولذلك فلشـد ماكانت دهشتى حـين أطلعنىبدرالدين فىوزارةالداخليةغداة القبض على فى القاهرة على واحدة منها التى كنت أحسبهافى غير هـذا العالم المادى لـكنى عرفت فيما بعدأنواحدة من تلك الكراساتالتسع كانتقدابتعدت عن مكانها العادى من « الدرج »واختلط أمرها بمؤخرتهالخشبية

فلم أعثر بها حين أخرجت الكراسات لاحراقها وأراد القدر أن يعثر عليها الضابط «حجاج» وقد فتحت له أدراج مكتبى على مصراعيه وأنا مطمئن تمام الاطمئنان الى انه لن يجد فيما فيها من اوراق شيئا يكون محل ظن أومؤاخذة ..

سر الصنعة

وكان ماصادره البوليس من أوراق رسائل خاصة تبادلتها وزوجى قبيل الزواج وخلال صيف بعدزواجنا بثلاث سنوات قصدت فيها الى روسيا وبقيت أنا فى مصر كما كانت رسائل متبادلة بين زوجى ووالدتها . أما هذه الرسائل الاخيرة فلم يجد بدر الدين من يأتمنه على تعرف مافيها غير عامل «سمكرى» روسى فى الاسكندرية لم يكن فى مقدوره أن يتعرف الاسلوب الذى كتبت به . وأما رسائلنا نحن فقد أؤتمن عليها من رجال الامن العام من كان يذيع بعض عباراتها بين أصدقائه الذين كان يجتمع بهم فى محل « جروبى » وكانت هذه الاذاعة التى اتصل بى نبؤها سببا فى أن أطالب برد الاوراق التى أخذت من منزلى فرد بعضها واعتذر عن رد الباقى بعدم استطاعة التوفيق فى العثور عليها .

مقادير

وتريد المقادير بعد ذلك بسنوات أن تقوم القيامة المصرية وأن استقيل من مدرسة التجارة لالقى بدلوى فى دلائها وأن أتولى تحرير جريدة « المحروسة » سنة ١٩١٩ واتصل عن طريق عملى الصحفى المصرى فالتقى فيه بالوزراء الثلاثة يغذون الوفد بتقريراتهم فيكون بين هؤلاء الوزراء الثلاثة رشدى باشا الذى أفرج عنى من سجن الحدراء وعدلى باشا الذى تركت مقابلته لى لتلك المناسبة فى نفسى احسن الاثر فيكون لهذا الاثر ولذا الصنيع لاريب دخل - وان كان غير محسوس - فيما شعرت به نحوهما من ميل وما احسست لكفايتهما من تقدير

الحزب الديموقراطى

ضحى يوم من ايام اخريات الشتاء ١٩١٨ — ١٩١٩ وانا اسير الهوينا فى شارع جامع شركس متجها الى ميدان سليمان باشا نما لا اذكر الآن من قصد قابلت على غير موعد سابق صديقى الدكتور منصور فهمى وكان يعمل فى ذلك الحين سكرتيرا لجمعية الهلال الاحمر وكان يقصد الى مقر عمله فيها وكانت تشغل « شقة » من « شقق » البناء الذى كانت تشغل احدى شققه الاخرى « جماعة الاقتصاد السياسى والتشريع » وهو البناء الذى تقوم مقامه الآن « عمارة صيدناوى » المطلة على ميدان سليمان باشا وشارعى قصر النيل وجامع شركس فدعانى صديقى الى ان اصحبه حتى « سكرتيريته » حيث يقدم لى فنجانا من القهوة وحيث يتحدث الى فى امر اعتزم من مدة ان يتحدث الي فيه وذهبنا واخذت استمع الى حديث الصديق بينما اتناول القهوة واذا بالحديث تأسيس حزب سياسى تحدث بشأنه صديقى منصور بالفعل الى بعض اصدقائه من قبل وتم التفاهم فيما بينهم عليه وعلى الاسم الذى يطلقونه عليه وهو « الحزب الاشتراكى »

وتقدمت لصديقى على فكرته باعتراضين . الاول بعد فكرة تأسيس احزاب سياسية عن الصواب بينما يقوم « الوفد المصرى » موحدا الصفوف وراءه فى سبيل الجهاد الوطنى القومى والثانى عدم ملاءمة الظروف المصرية الاقتصادية والاجتماعية لتنظيم الجهود فى سبيل المبادىء الاشتراكية وعدم اخذى انا بهذه المبادىء على أى حال .

اما الاعتراض الاول فقد رد عليه الصديق بان لا معارضة
ة بين قيام « الوفد المصرى » وقيام احزاب الى جانبه فانما
ن هذه الاحزاب موالية للوفد بل ستكون منظمة لبعض
د ومتجهة بتيارها الى حيث يصب فى « بحيرة » الوفد
الذى يجب ان تتجه اليها كل الجداول والاقنية والانهر .

وقد اقتنعت بتدليل صديقى على هذه الوتيرة فانتقلنا الى مناقشة الاعتراض الثانى وكنت فى تلك الفترة عاكفا على قراءة كتاب فى « الديمقراطية الحديثة » لمفكر فرنسى معروف اعجبت بكثير من الآراء التى تضمنها وهى تسمو بالديمقراطية عما يذاع عنها عادة ويسند اليها عامة من المبادىء والتوجيهات التى اذا أستساغتها ظروف تنظيم الجماعات ايام « جان جاك رسو » فان مقتضيات الاجتماع هذه الايام لا تسيغها اولا تسيغها بسهولة على أية حال .

ويظهر ان تدليلى فى هذا السبيل قد اقنع صديقى فرضى ان يعدل هو واصدقاؤه عن تسمية المولود الجديد « الحزب الاشتراكى » وان يستبدل به اسم « الحزب الديمقراطى » وان تكون هى المبادىء الديمقراطية التى يسعى الحزب الجديد للدفاع عنها والدعوة اليها فى مصر بينما يوجه جهوده فى سبيل القضية المصرية العامة شطر « الوفد المصرى » يغذيه بنتائج لتلك الجهود .

وتفاهمنا على هذا وتركت صديقى على ان اجتمع به وباصدقائه فى موعد حددناه لنمضى فى سبيل الاجراءات اللازمة لتأسيس الحزب « الديمقراطى » ووضع مبادئه وقانونه .

قرار المعممين من الديمقراطية

واجتمعت بالصديق واصدقائه ذات مساء فى ادارة جريدة « السفور » وكانت فى ذلك العهد فى شارع « عبد الدايم » وتكررت الاجتماعات ومضى المجتمعون شوطا فى سبيل وضع مبادىء

الحزب وقانونه ولاحظت بين المجتمعين نفرا من « المشايخ » صعب على ان ادرك مدى نزولهم عند المبادىء الديمقراطية التى تقرر وصعب على ان اسكت على بقائهم « ديمقراطيين » اذا لم يكونوا نازلين عند تلك المبادىء حقا فانتهزت فرصة عرض المجتمعين لمبدأ « توحيد التشريع فى مصر » معناه ليس تطبيق التشريع الواحد على المصريين والاجانب فحسب بل معناه قبل هذا وفوق هذا تطبيق التشريع على جميع المصريين مهما تكن اديانهم ومعتقداتهم فاجابوا موافقين . لكننى احسست انهم لم يدركوا بعد ما اعنى فاضفت الى ماتقدم قولى . بمعنى ان تكون للمصريين كلهم احكام زواج وطلاق واحدة فقالوا « لو اصبحت نعم » فقلت « وبمعنى انه اذا رغبت مسلمه ولتكن احدى اخواتنا مثلا أن تتزوج من قبطى - وليكن عزيز ميرهم هذا الجالس معنا - فلا يكون هناك مانع ولا اعتراض فسكت « المطربشون » وهاج « المعممون » وقالوا بل التوحيد فى كل شىء الا فى احكام الاحوال الشخصية فقلت ليس هذا من الديمقراطية فى شىء اذ اطلاق التشريع فيها وتطبيقه على ساكنى القطر الواحد مهما تكن عقائدهم مبدأ من مبادئها الاساسية .

عندئذ رفضوا ان يكونوا ديمقراطيين وانسحبوا فاستراحوا واراحوا ومضى المجتمعون ومضى الحزب من بعد فى سبيل التجانس بين اعضائه .

خبايا التأسيس .. جماعة السفور والوفد

وانتهينا من تأسيس الحزب بعد شهور مضت فى تكييف المبادىء ووضع القانون وصوغ المقدمة واتصل بى بعد ذلك جديد قديم : جديد بالنسبة لى قديم بالنسبة لاصحابه من الاصدقاء .

ذلك ان خبيثا اسر الى يوما خبايا الظروف التى جعلت الاصدقاء الاولين يفكرون فى انشاء الحزب وزيد رواية هذا « الخبيث » ان تقول انه حينما تألف « الوفد المصرى » كان تأليفه



وهاج المعممون وقالوا : التوحيد فى كل شىء الا فى الاحوال الشخصية

اول الامر قاصراً على سبعة من اعضاء الجمعية التشريعية فلما مضى « الوفد » فى تنظيم اموره شوطا رأى ان يزيد عدد اعضائه او ان يضم الى هيئته عددا من الممثلين لهيئات سياسية ولاسيما الحزب الوطنى الذى كان انضمام حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا وحضرة صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا على سبيل تمثيلهما اياه .

وكانت هناك جماعة اسمها « جماعة السفور » تشرف على تحرير جريدة « السفور » لصاحبها الاستاذ عبد الحميد حمدى فاجتمعت ذات مساء وقررت ان تطلب الى الزعيم سعد باشا ان يضم اثنين من اعضائها الى هيئة الوفد يسافران مع اعضائه الى باريس ويسعيان معهم فى سبيل الاستقلال وانابت الجماعة عنها ثلاثة اشخاص كان بينهم الدكتور منصور فهمى والشيخ مصطفى عبد الرازق لعرض قرارها على رئيس الوفد فقصدوا الى «بيت الامة» وقابلوا الزعيم سعد وعرضوا عليه الامر فسألهم — رحمه الله ورحم سرعة خاطره ومليح تهكمه — من أنتم؟ فقالوا نحن جماعة السفور قال : ماجماعة السفور ؟ . . قالوا جماعة تنشر مبادىء الفكر الحر وتدل الناس على الحقائق سافرة قال هل انتم حزب سياسى او ان لكم فى سياسة البلد مكانا ممتازا وهل وكلكم فريق من الامة فى النيابة عنها ومن تريد ان تنوب عنها جماعتكم ؟ . . قالوا : الدكتور منصور فهمى والشيخ مصطفى عبد الرازق قال : أفهم أن نضم الينا الشيخ مصطفى عبد الرازق على مكانته الشخصية ومكانة اسرته واتصال جهودها بالحياة السياسية المصرية اما « جماعة السفور » فلا افهم لها اتصالا بهذه الحياة ولا افهم لطلب تمثيلها فى الوفد معنى ، ولو كنتم حزبا سياسيا لكان لكم شأن اخر .

وانصرف المندوبون وعادوا الى باعثهم يفضون اليه بتفصيل مادار بينهم وبين الزعيم سعد فتباحثت الجماعة فى : هل تكتفى بتحقيق ماشار اليه رئيس الوفد وهو ضم الشيخ مصطفى عبد الرازق

الى هيئته بصفته الشخصية وهو شرف لها على اية حال او تصر على ان يكون لها ممثلان رسميان ؟ فكادت الجماعة تميل الى الاكتفاء بوعد سعد باشا لولا ان اصر الدكتور منصور فهمى على ضرورة تمثيل الجماعة تمثيلا رسميا فلما اشار اخوانه الى اعتراض رئيس الوفد الخاص بعدم توافر الصبغة السياسية والحزبية للجماعة اجاب اذن فلنؤلف حزبا . اذن فلنؤسس حزبا

ويقول « الخبيث » ان الرغبة فى عضوية الوفد هى التى ولدت فى الحقيقة فكرة انشاء الحزب ودعوة من دعوا بعد ذلك الى العمل فى سبيل تأسيسه وكنت منهم وماكنت لاقف على حادث الحوار بين سعد وجماعة السفور لولا ان رواه لى ذلك « الخبيث » من مؤسسى جماعة السفور .

مسألة الرياسة فى الجماعات المصرية

ومضينا اذن نؤسس الحزب ونضع قواعده وعرضت حكاية « الرياسة » ولكل رياسة فى مصر حكاية اى حكاية وكانت كثرة الذين انضموا لهيئة تأسيس الحزب التى اجتمعت بالبهو الكبير بدار ال عبد الرازق خلف قصر عابدين من الشبان الذين اتموا دراساتهم فى فرنسا وفى باريس وليون على وجه خاص .

وكان للمصريين فى « ليون » جماعة وكان مبعوثو الجامعة المصرية اول عهدها قد مروا بليون فى طريقهم اليها والى باريس والى لندن صيف ١٩٠٨ واحتفت بهم الجماعة المصرية بليون ولمحوا خلال الثمانى والاربعين ساعة التى امضوها هناك ان بين اعضاء الجماعة فتورا فى العلاقات نشأ عن خلاف على الرياسة فلما هبط من هبط منهم الى باريس وفكروا مع من فكروا فى رياسة جماعة مصرية فى العاصمة الفرنسية ذكروا ما بين اخوانهم فى ليون من جراء الرياسة فقرروا الاتكون لجماعتهم رياسة وان تكون ادارة الجلسات بالتناوب بين اعضاء مجلس ادارتها وان يكون هذا التناوب بينهم بترتيب الحروف الاولى

من اسمائهم ولعل الشيخ مصطفى عبد الرازق بالذات ـ اذا لم تخنى الذاكرة ـ هو صاحب اقتراح هذا النظام علينا بباريس سنة ١٩٠٩ ولذلك فقد كان من الميسور ان يدخل هذا المبدأ ذاته فى تنظيم حزبنا السياسى بالقاهرة فى سنة ١٩١٩ .

واسس الحزب وله مجلس ادارة مؤلف من تسعة اعضاء بينهم سكرتير هو الاستاذ عزيز ميرهم وبينهم امين صندوق هو الدكتور سامى كمال وتناوب اعضاء هذا المجلس رياسة الجلسات .

فى سبيل الوطن

وبدأ الحزب يعمل ولم تكن جمعيته السياسية قد زاد عددها على الخمسين او الستين لكن اعضاءها كلهم كانوا من الشبان المثقفين القادرين لرياسته المثقفين فى البلاد الناهضة وكان اجتماع الشباب والثقافة فيهم مبعدا بينهم وبين المطامع فى الجاه او المناصب او مبعدا بينهم على الاقل وبين جدية تفكيرهم فى تحقيق تلك المطامع اذا كانت عندهم وكانت النهضة المصرية فى ابانها وكانت فى خلوصها وطهارتها وكانت فى التوجه بها الى «الوطن» والوطن وحده وكانت البلاد متراصة وكانت فى تراصها بديعة فلم يكن بد من ان تكون كل حركاتها فى ذلك العهد بديعة ، وان تكون جهودها منتجة وقام الحزب الديمقراطى بما استطاع ان يقوم به من وضع للنداءات وتوجه الى ممثلى الدول الاجنبية وتوزيع للمنشورات وتقدم بالاقتراحات وحض على الاسراع فى اتخاذ الخطط الحاسمة

النقابات ومشروع الرى

وكانت حركة العمال لا تزال بادية فى الافق فتلقاها برعايته واشرف بعض الاشرافات على نقاباتها وتاليفها وشكاوى العمال والدفاع عنها . وكانت مشكلة اعمال الرى فى السودان قائمة فكانت له لمناسبتها جولات وكانت له مباحث واراء تقدم بها الى الخبراء العالميين والمحققين الفنيين الذين جاءوا يفصلون فيما كان بين الخبراء المحليين من خلاف .

بيان لجنة ملنر وحفز الشباب للشيوخ

ولم ينس حقا فى الثمانية عشر شهرا الاولى من حياته ذلك المبدا الذى قام عليه التفاهم الاولى بينى وبين صديقى الدكتور منصور حين حدثنى فى امر الحزب وتأسيسه وهو مبدا ان يكون تياره موجها الى « بحيرة الوفد » يصب فيها ما يكون قد وفق اليه من افكار وما يكون قد وفق الى تنظيم جهود .

واذكر له فيما اذكر من هذا الصدد يوم حلت بمصر « لجنة ملنر » واصدرت نداء للمصريين ونشرت هذا النداء فى صحيفة « المقطم » بعد الظهر اذكر له انه اجتمع بعد ساعة واحدة من صدور « المقطم » وانه بحث نداء لجنة ملنر وعلق عليه بما شاء من ملاحظات وكتب بتعليقاته نداء دفع به الى جريدة « المحروسة » التى كنت اشرف على اصدارها فى ذلك الحين فأخرجت به ملحقا وزع على الناس قبل الغروب ثم قصد ثلاثة من اعضاء مجلس ادارته كان منهم الاستاذ عزيز ميرهم وكنت انا من بينهم الى « بيت الامة » يتحدثون مع لجنة الوفد المركزية بشأن نداء لجنة ملنر ونداء الحزب الديمقراطى فلما دخلوا « بيت الامة » راوا اعضاء اللجنة يتلون ملحق « المحروسة » وسمعوا المرحوم مرقس حنا باشا يقول « لقد اصدر الحزب الديمقراطى بيانا ولما نجتمع نحن بعد فهيا بجلستنا الى الانعقاد » ولمحنا مرقس باشا داخلين فقال « لقد سبقتمونا ولكنكم فى سبقكم تحفزوننا وتحضوننا على العمل والشيوخ حاجة لحفز الشباب . وكان طبيعيا وكان محتوما ان تنتج تلك الروح الخيرة وهى روح الثقة المتبادلة والاقتناع بان المصريين عامة انما يعملون لخير مصر عامة — كان محتوما ان تنتج تلك الروح الخيرة ما كان متجليا فى الحركة الوطنية ابان نهضتها الاولى من تكاتف وتسابق فى سبيل مصر وهنائها وفى سبيل الوطن وجده ورفعته

فى حضرة سعد . نظرية الاتصال

وموقفا اخر نذكره الحـــزب الديمقراطى وهو موقف محاسبة سعد اياه على فكرة بعث بها اليه من القاهرة الى باريس .

وكان ذلك فى ابريل ســـنة ١٩٢١ وكان عدلى باشا قـد ولى الحكم على راس « وزارة الثقة » وكان قد قيـل انها تتـولى هى المفاوضات مع الحكومة الانجليزية ولكن النـاس اخـذوا يتساءلون عن موقف الوفد من هذه المفاوضات فعرضت الحـزب الديموقراطى فكرة سميت فى ذلك العهـــد « نظرية الاتصال تقضى بان يتولى عدلى باشا ووفده الرســـمى المفاوضات الرسـمية عـلى ان يكون متصلا بالوفد المصرى يقفه من شئونها على كل صغيرة وكبيرة ولا يخطو فيها خطوة الا بالتفاهم عليها » . وبعث الحزب برأيه لى سعد باشا بباريس كما كان شأنه فى كل مكان يعن له من آراء فى المسألة العامة ومعالجتها وعاد سعد الى مصر وقصدت الامة الى « بيت الامة » تهنىء الزعيم وتحج اليه — على حد تعبير الوقت — حجا وجاء دور الحـزب الديمقـراطى بين الهيئات السياسية التى يستقبلها الزعيم وكان ممثــلا فى مجلس ادارته فلما اجتمع بالزعيم سأل سعد باشا « أين عزيز ميرهم » وكان عزيز ميرهم هو السكرتير العام الذى يوقع على مكاتبـات الحزب كلها فأشار بقية الاعضاء اليـه فسأله سعد باشا « أين تعلمت المفاوضة » وما نظـرية الاتصال تلك التى تنصحنى بها ؟ هل تعنى ان يحضر عدلى الـى مائدة المفاوضة وان أكون أنا فى غرفة مجاورة أصفق له .

ولا اذكـر ان أحـــدا حاول ايضاح نظرية الاتصال بعد ذلك الاستقبال لها ولموقع الخطـاب المتضمن اياها ولـكنى اذكر ان الاعضاء حين عادوا الى الحـزب يدونون محضر اجتماعهم بالزعيم سعد وكنت بينهم وكنت استمع حديث الاستقبال للمرة الاولى لانى لم اكن قد ذهبت معهم اذكر انهم كانوا يداعبون الاستاذ عزيز

ميرهم مداعبة ويظهر انه أخذحينما سأل سعد « أين عزيز ميرهم » فارادوا من باب المداعبة أيضا ان يقولوا فى محضرهم بعد ان ذكروا سؤال الزعيم عن ميرهم « فكان عزيز فص ملح وداب »

لكن الذاتيات

ومهما يكُن من أمر فقد ظل الحزب الديمقراطى رافعا لواء التفكير الديمقراطى الحر وظل خادما القضية المصرية فى عمومها والوطن المصرى فى شموله الى ان دخلته كما دخلت الهيئات المصرية جميعا المنازعات والذاتيات فأصبح مرسحا للدس وميدانا لتسابق ذوى الاغراض واذكر مساء انتخابات - وكنت قد سقطت من قبل فى الانتخاب لمجلس الادارة - انضم فيه الى الحزب مئات ومئات لا ادرى حتى اليوم من زكاهم ومن دفع لهم رسم الدخول والاشتراك لكنى أدرى بكل أسف ان كان من بينهم كثيرون ممن يتبوأون الآن من المناصب أعلاها ومن يشرفون على تصريف غير الهين من الامور

درس وعظة

ولم يلبث الحزب بعد ذلك الا ان اضمحل فتفرق شمله وذهب من اعضائه ذات اليمين من ذهب وقصد ذات الشمال من قصد ونفر من الجانبين من نفر

وهكذا كان « الحزب الديمقراطى » درسا فى الدافع الى تأليفه . ودرسا فى انشقاقه وانحلاله ، كما كان درسا فى حياته العملية

وفى ذلك كله عظة وذكرى لمن يريد فى مصر أن يذكر وأن يتعظ .



مشروع ملنر بين سعد باشا وبيني

عاطفة فى ثورة

فى شهر مارس سنة ١٩٢٠ وقد اتمت لجنة ملنر تحقيقها فى مصر وعادت الى لندن محملة باجماع من المصريين امرائهم ووزرائهم واولى الامر فيهم والرأى والطاقة من الفلاحين والعمال وسائر الناس كلهم معقود على ان لاعلاقة للجنة بهم والا حديث لها عندهم وان الحديث والعلاقة جميعها انما يختص بهما « الوفد » ويختص بهما « سعد باشا » فى باريس والتقارير يعدها لسعد باشا « الوزراء الثلاثة » وتعدها « لجنة الوفد المركزية » ويحملها اليه من القاهرة « على ماهر بك » وتشخص ايضا مصر الموحدة الصفوف القوية العزيمة نحو باريس حيث يقيم وفد مصر والمصريون أجمعون فى ذلك الشهر من تلك السنة ورد على من زوجى ـ وكانت قد ذهبت منذ تسعة شهور الى باريس تستعيد فيها دراسة الطب قصد التخصص فى امراض الاطفال وتكريس حياتها لمعالجتهم فى سرابننا الذى فقدناه طفلا لم تتجاوز سنه الستة شهور ـ ورد على منها كتاب أثار فى ماأثار من لوعة وشجن لم يكونا ليدعنى أهنأ بالا الا اذا وصلت الى باريس على عجل .

واذن فكان لا بد من السفر مهما تكن الظروف وكان لا بد من مضى اسبوعين او ثلاثة اسابيع حتى تتهيأ الظروف المواتية وكانت المخاطبات متبادلة اثناء تلك الاسابيع الثلاثة بين سعد باشا بباريس وعدلى باشا بالقاهرة حول موضوع لجنة ملنر والاتصال

بها فى أوربا وتنظيم طريقة هـذا الاتصال وانتهت هذه المخاطبات الى تقرير سفر عدلى باشا ليقابل سعد باشا بباريس والى تحديد اليوم السابع عشر من شهر ابريل موعـدا للابحار عـدلى باشا من الاسكندرية على ظهر الباخـرة « سفنكس » الفرنسية .

مراسلتى للاهرام

وكانت هذه الباخرة ذاتها هى التى وقفت من طريقى الى حجز مكان لى على ظهرها وكنت قـد اعتزمت مغادرة القاهرة صـباح نفس اليوم الذى تبحر بعد ظهره من الاسـكندرية وكـنت أمضى السهرات مع اصدقائى عادة فى محل سولت فتحدثت اليهم بارحة سفرى فى رحلتى الى باريس وكان بين أولـئـك الاصـدقاء « داود بركات » فعرض على أن أراسـل « الاهرام » من باريس وان أترك له أمر الاتفاق المادى مع جبريل تقـلا بك بمجـرد عـودته من الاسكندرية بعد يومين أو ثلاثة أيام فقبلت وسافرت فى الغد ولى صفة لم تكن بالامس .

مصريات

ولم يكن لى بعدلى باشا فى ذلك الحين غير اتصال الصحفى ـ وكنت أصدر جريدة « المحروسة » الى أن عطلتها السلطة العسكرية البريتانية ـ الراغب فى الوقوف على انباء التطور السياسى المصرى من المصادر الاصيلة الوثيقة لكن الناس لم يكونوا ليقنعوا بمجـرد هذه الصلة وكانوا « متبرعون » لها بحواش وذيول واضافات أدع القارىء يتصور من تلقاء نفسـه قدر ما بلغته من ضخامة وانتابها من مضـاعفات حين عـرف انى سافرت على ظهر الباخرة التى سافر على ظهرها عدلى باشا .

وكانت جماعات قد قصدت الى الميناء تودع عدلى باشا وتذكره بالاستقـلال والاستقـلال التام واذكر ان الشيخ « عبد الحميد النحاس » كان احد المنظمـين لتلك الجماعات الموجهين لما تهتف

به من نداءات وأذكر انه لمحنى على ظهر الباخرة فاقبل يودعنى ويزودنى بنصائحه على اعتبار اننى مساهم بعض المساهمة فى رحلة عدلى باشا ومهمته وكان لايريد ان يصدقنى حين كنت انفى زعمه وكنت اضحك من تجنى القوم واصرارهم على عدم التصديق وظنهم فى الخبث والمخادعة لانى كنت اعلم فى ذلك الشأن على الاقل ان عدلى باشا يبحر بالدرجة «الفاخرة» من درجات الباخرة بينما أبحر انا بدرجتها الثالثه .

فى حضرة سعد

ولم ار بطبيعة الحال طوال الطريق بين الاسكندرية ومرسيليا لاعدلى باشا ولا غير عدلى باشا من المصريين ومن عادة شركات الملاحة ان تحكم الفصل بين ركاب الدرجة الاولى والدرجة الثانية فما بالك بالحواجز التى تقام بينهم وبين ركاب الدرجة الثالثة وكذلك لم التق به فى الثغر الفرنسى الكبير ولم يكن لى فى الواقع من هم سوى اللحاق بأول قطار يغادر مرسيليا قاصداً الى باريس .

ووصلت الى باريس وخصصت اليوم الاول لنفسى ثم قصدت فى اليوم التالى الى مقر « الوفد » بشارع « ماريوف » وهناك تفضل الرئيس سعد بمقابلتى وبالسؤال منى عن الاحوال فى مصر وكان متجليا خلال أسئلته كلها اهتمامه بحال الشعب المعنوية ورغبته فى تعرف مدى استعداده للبذل والتضحية وجاء عدلى باشا وانا فى حضرة سعد وكان فى حضرته كذلك على ما اذكر الان عبد العزيز فهمى باشا ولطفى السيد وعلى ماهر والمكباتى ومحمد على واحمد عدلى يقص على سعد باشا ظروف رحلته وتوديعه من الاسكندرية واصرار المودعين على طلبهم اليه الهتاف بحياة « الاستقلال التام » وسأله سعد وقد ضحكت أساريره «وهل هتفت لهم بحياة الاستقلال التام» واجابه عدلى باشا «انتهيت

الى الهتاف بحياة الاستقلال » وكان سعد باشا يضحك لهذا الموقف موقف عدلى باشا الهتاف ضحكات مستفيضة صادرة من أعماق كائنة .

انتقال الوفد الى لندن

وبعد تبادل الرأى والاستيثاق قرر الوفد الانتقال الى لندن قصد الاتصال فيها بلجنة ملنر ومباحثتها فى القضية المصرية فتقدم الى « مكتب التأشير على جوازات السفر البريتانى » بجوازات أعضائه وسكرتيريته فأشر لهم عليها بالتصريح بالسفر الى انجلترا وغادروا باريس اليها بالفعل وكان عدلى باشا وبعض اعضاء الوفد قد سبقوا سعد باشا وصحبه الى لندن من أيام .

حكاية التأشير على جواز السفر

وجاء الى مصر نبأ انتقال الوفد الى انجلترا فوصلت الى برقية من « الاهرام » تطلب الى مرافقته فقصدت الى مكتب الجوازات البريتانى التمس التأشير على جواز سفرى وسفر زوجى فقوبل طلبى بالرفض بحجة ان « الوفد » قد ابلغ المكتب منذ يومين قائمة باسماء المصريين الذين يرغب فى سفرهم ولم يرد اسمى فى هذه القائمة وعبثا حاولت ان اقنع القوم انى لست من الوفد ولا من سكرتيريته ولا من صحفييه حتى يرد اسمى فى قائمته وانى قد تسلمت البرقية من الجريدة التى اراسلها بعد سفر الوفد بيوم فلم اظفر باكثر من وعد بان يكتبوا الى لندن ليأخذوا رأى الجهات المختصة فيها .

وانتظرت اياما عدت بعدها الى ذلك المكتب البريتانى فقيل لى فيه ان اشارة وردت عليه من لندن ردا على استعلامه تصرح بالتأشير على جواز سفرى وترفض التأشير على جواز سفر زوجى فلم ارض الاخذ بهذا الرأى العجيب وبعثت بكتاب لعدلى باشا اقص عليه القصة وارجو منه التوسط فجاءنى بعد يومين اثنين

كتاب من لطفى بك السيد يخبرنى فيه ان عدلى باشا طلب اليه ان يبلغنى ان وزارة الخارجية البريتانية قد ابلغت سفارة انجلترا فى باريس تعليماتها بشأن التصريح بالسفر الى لندن « لى ولزوجى ومن نشاء أن يرافقنا من الخدم »

وقصدت الى « مكتب الجوازات البريتانى » على عجل وقدمت للموظف الذى « اخذ يستثقل طلبى » جواز سفرى وسفر زوجى فقال مامعنى تقديم هذا الجواز الاخير وقد قيل لى من قبل ان الاذن صادر بالتأشير على جواز سفرى وحده فأجبت فى هدوء و « برود - شبه بريتانى - بل انتم ستؤشرون على الجوازين الاثنين قال كيف ذلك قلت لديكم تعليمات قال ليس لدينا تعليمات غير التى ابلغتك عنها فقلت اسألوا اذن « السفارة » فلابد ان تكون قد تلقت فى هذا الشأن تعليمات من وزارة الخارجية وحسبنى الرجل أهذى لكنه ذهب يتحدث تليفونيا وجاء يقول نعم ويأخذ الجوازين للتأشير عليهما ويسألنى « وعلى جوازات من تريدون ايضا التأشير » فاجبت انى مكتف اليوم بالتأشير على هذين ..

المفاوضات فى لندن

واقصد اذن مع زوجى الى لندن وارقب تطور المفاوضات عن كثب وابعث بانبائها البرقيات والرسائل الى « الاهرام » وكانت مفاوضات تجرى فى الوقت عينه بين وزارة الخارجية البريتانية ووفد روسى وتعرف أن ابن عم نزوجى احد اعضاء هذا الوفد فحسب ان هذه المصادفة قد تكون هى سبب رفض التأشير الاول على جواز سفرها ونعجب لمدى فعل المصادفات .

وتجرى المفاوضات واقف لمناسبتها على ماأقف من ميول وآراء واتجاهات ليس هنا محل تسجيلها وليس ذلك وقت اذاعتها .



وبهت دومانى وصاح -لقد نسيت ارسال البرقية!..

سكرتير عدلى باشا

وكنت حينما شممت رائحة قرب انتقال الوفد الى لندن قد بعثت الى « الاهرام » برسالة رأيت ان احضر بها الاذهان لذلك الانتقال حتى لا يفاجأ المصريون بخبره حين وقوعه مفاجأة . فلما نشرت رسالتى فى «الاهرام» ولم يكن الوفد قد بعث للجنته المركزية بشىء من ذلك الصدد ، تلقى الناس مابعثت به بشىء من التردد فى التصديق ونشرت جريدة « النظام » وكانت على صلة متينة بلجنة الوفد فى ذلك العهد تتساءل من « الدافع لعزمى على نشر ذلك النبأ ؟ » هل جاء من تلقاء نفسه او بايعاز من عدلى باشا الذى « سافر ليكون سكرتيرا له » .

ووصلت جريدة النظام الى مقر الوفد بباريس واطلع عليها عدلى باشا قبيل سفره الى لندن بدقائق فلما كنت اودعه بالمحطة سألنى هل اطلعت على «النظام» ولم اكن قد اطلعت عليه فقص على القصة واخبرنى ان الجريدة بمقر الوفد .

فلما اطلعت بعثت برسالة الى « الاهرام » اشير فيها الى تساؤل «النظام» وكانت الحوادث قد اكدت ماأردت تنبيه الاذهان اليه قبل وقوعه واقرر انى لا اعمل سكرتيرا لعدلى باشا « لانى اربأ بمواهبى ان تؤجر لاحد » .

محسوب علينا

وذهبت اروح واجىء فى ميدان « بيكاديلى » وشارعه اقضى ردحا من الوقت اعود بعده الى الفندق الذى ينزل فيه الصديقان وبينما اروح واجىء فى «بيكاديلى» التقيت بصديق ثالث تركته بالقاهرة منذ شهور - وهو عباس بك سيد احمد فأقبلت عليه وسألته متى وصل الى لندن فقال فى ظرفه الباشَ المعروف « وصلت اليوم وسأعود الى باريس غدا » فقلت ماهذا الكلام قال « لقد انتهت المفاوضات » سألت كيف هذا قال لقد سلم لورد ملنر سعد باشا مشروع الاتفاق فى الساعة

الرابعة بعد ظهر اليوم سألت وممن علمت هذا النبأ ؟ قال من عدلى باشا .

عند عدلى باشا

فتركته حيث كان وتوليت قصد عدلى باشا وكان يتناول العشاء فلم اتردد فى اعلان رغبتى فى مقابلته فأقبل مرتديا « لباس السهرة » مبتسما ابتسامته الاخاذة وقد علاها شى اخر يريد ان يقول به « لقد فاتك ان تعرف فى الاوان » واستوضحته الامر فقال « كل مافيه ان لورد ملنر تحدث الينا تليفونيا فى الساعة العاشرة هذا الصباح وقال لى انه انتهى هو وزملاؤه من وضع تقريره عن المفاوضات ويود لو يسلم لسعد باشا بعد الظهر فاتصلت بسعد باشا وتفاهمنا على ان يكون الموعد فى الساعة الرابعة .

مر بسعد باشا أولا

سألت وماذا تضمنه المشروع فسرد على عدلى باشا مواده واحدة واحدة الى ان انتهى منها جميعا فهممت مهرولا فسألنى الى أين ؟ قلت الى مكتب التلغراف قال لا بل الى سعد باشا أولا فقد يكون له رأى فيما يرسل للبلد وما لا يرسل قلت وهو كذلك وقصدت الى فندق « كارلستون »

لطائف

وكانت الساعة التاسعة قد اكتملت وكانت غرفة الاستقبال فى مقر الوفد غير منارة كل مصابيحها وكان بها سعد باشا وكان معه حمد الباسل باشا وواصف غالى والمكباتى فتقدمت الى الرئيس سائلا هل تسلم مشروع ملنر فقال نعم قلت وماذا تضمن المشروع ؟ فأجاب هذا اشكال فقد تعهدنا بعدم اذاعته قبل وصوله الى القاهرة قلت ولكنه عندى قال وماذا تعرف عن مضمونه فسردت ملخص مواده بالترتيب قال وكيف عرفته قلت من عدلى باشا قال لاغبار عليه فالذين تعهدوا هم

اعضاء الوفد وحدهم قلت انى كنت قاصدا الى التلغراف لابعث به الى الاهرام لكن عدلى باشا طلب الى أن استنير بكم فى صدد مايرسل منه وما لايرسل قال بل يرسل كله واستدرك فى الحال « ولكنا ارسلناه للجنة الوفد بمصر .. » قلت ولكن على ان ابعث به لجريدتى قال لقد بعثنا به مستعجلا قلت لكن يجب ان أؤدى واجبى الصحفى فاعاد ان البيان قد ارسل بطريق الاستعجال ففهمت من هذا الالحاح ان البيان لم يرسل وان سعد باشا لايريد ان يصل علمه الى احد فى مصر قبل ان يصل الى اللجنة المركزية وفهمت سبب « سؤال الباشا عن كامل سليم ورودا فى ثلاث مرات »

وأردت أن أبعد عن الاذهان انى سأسبق الوفد فى الاعلان فقلت ان مكتب التلغراف قد اقفل على اى حال واليوم يوم أحد والمكتب يغلق ايام الاحاد فى الساعة الثامنة مساء

وكان هذا صحيحا بالنسبة لمكتب التلغراف بشارع البرلمان ولم يكن صحيحا بالنسبة لمكتبه الرئيسى الذى يظل مفتوحا طول النهار وطول الليل ايام الاسبوع وايام الاحاد .

رأى سعد باشا ..

وسألت سعد باشا رايه فى مشروع ملنر فأجابنى بتحليل موقفه بصفته مصريا وبصفته رئيسا الوفد ووكيلا عن الامة فى المطالبة بالاستقلال التام ثم بتحليل موقف امثال « امين الرافعى » الذين يطالبون بمايطالبون به « من المنبع الى المصب » وبتحليل غير ذلك من المواقف التى لاتطاوع الظروف بعد على اذاعة الاراء بشأنها .

فى مكتب التلغراف

واطلت الجلسة عمدا حتى لا أدع الشك فى انى ذاهب الى التلغراف يتطرق الى نفس احد وفى منتصف الساعة الحادية عشرة استأذنت فى الانصراف وهرولت الى مكتب التلغراف

الرئيسى فحررت برقية وسلمتها فى منتصف الليل وحسبت حساب نقلها الى القاهرة والفرق بين لندن والتوقيت فى مصر وادركت ان البرقية ستصل بعد ان يكون « الاهرام » قد أعد للطبع فجرأت ان اضيف كلمتين هما « أصدروا ملحقا »

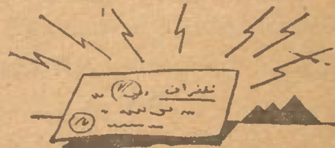
وكان ماحسبت حسابه فلم تصل البرقية حتى الساعة السادسة صباحا واصدر « الاهرام » على غير عادته ملحقا فى الساعة العاشرة صباحا .

وفى المحطة

وكان الاستاذ دومانى هو الذى يشرف عادة على « شحن عفش » اعضاء الوفد فلما قصدت ضحى اليوم التالى . الى المحطة « فيكتوريا » لاعود مع الوفد الى باريس وجدته منهمكا ووجدت جيوبه مملوءة بالاوراق يخرج بعضها ويدخل البعض الاخر ويخشى الا يلحق القطار واخيراتمت الاجراءات وقصدنا معا الى « الرصيف » فأراد دومانى ان يخرج « تذكرته » فخرجت من جيبه ورقة صفراء واللون الاصفر هو لون ورق البرقيات التى ترسل للخارج فى انجلترا فلما رآها دومانى بهت وصاح « لقد نسيت ارسال البرقية » سألت أى برقية ؟ فقال البرقية بمشروع ملنر . .

وقد اعددتها هذا الصباح لكن مشاغلى حالت دون ارسالها من الفندق ...

فدللته على مكتب التلغراف على الرصيف وقصدت انا الى القطار اقص القصة كلها على سعد باشا التى ضحك لها كثيرا ...



كيف أفرج عن سعد باشا !؟

في اليوم الاخير من شهر اكتوبر سنة ١٩٢٢ كون في مصر حزب الاحرار الدستوريين وأنشئت جريدته « السياسة » ودعيت الى ان أكون مندوبا لها في مدينة « لوزان » اثناء انعقاد مؤتمر الصلح بين تركيا والحلفاء وقصدت الى « لوزان » في هذه المهمة ونزلت بفندق « موريس » وانعقد المؤتمر في الثاني والعشرين من شهر نوفمبر واخذت اقوم في عملي الصحفي وليس لمصر في المؤتمر وفد رسمي لكن لها في لوزان وفدين متخاصمين — وفد « الوفد المصري » في « لوزان » بالاس « ووفد الحزب الوطني » في فندق « سيسيل »

وذات مساء وأنا اتناول العشاء بالفندق الذي اقطن فيه همست الخادمة في أذني معلنة ان قاطنا آخر اشارت اليه يرغب في التعرف بي فأجبت باستعدادي لذلك بعد الانتهاء من الطعام وتقدمت اليه وتقدم الى فاذا به زميل صحفي من ناحية وله بمصر علاقة من ناحية أخرى هو الدكتور « برامر » النمساوي قال لي انه يمثل صحيفة المانية ولو ان المانيا غير ممثلة في المؤتمر كما كنت امثل صحيفة مصرية ولو ان مصر غير ممثلة في المفاوضة وقال لي انه كان بمصر حين أقيم خزان اسوان يعمل طبيبا لعمال الخزان وأمضينا الامسية في الفندق نتناول شتى المواضيع وكان مما تبادلنا هذا الحديث هو .. اتعرف ان عاهلكم السابق عباس مقيم الآن في « لوزان » ؟ ؟

أنا .. لا لا اعرف ذلك

هو .. انه مقيم بفندق « سافوا » ونازل فيه باسم « كونت دى شابان » وانا اعرفه من قديم وقد زرته فى فندقه هذين اليومين .

وافترقنا للنوم ثم اعتدنا ان نتناول القهوة معا فى بهو الفندق واثر كل غذاء وكل عشاء نتبادل انباء المؤتمر وتطور المفاوضات فيه دون أن نقفى مرة على حديثنا السابق عن « العاهل السابق » وقبل ظهر ، ومؤتمر الصلح منعقد فى « قصر اوشى » والصحفيون مجتمعون بناديهم قبل ان ينتشروا لدى مختلف الوفود يتعرفون من اعضائها بعض الانباء قرأت خلال اطلاعى على الصحف الانجليزية نبأ تلغرافيا بعث به مراسل « الديلى تلغراف » بالقاهرة الى جريدته يقول فيه ان وزيرا مصريا سابقا هو اسماعيل سرى باشا ومحاميا مصريا كبيرا هو حسن صبرى بك رفعا الى حضرة صاحب الجلالة الملك وقت تشرفهما بالمقابلة لمناسبة عودتهما من أوروبا ان مقابلة جرت فى سويسرا بين سمو الخديو عباس وعبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزارة اذ ذاك وأضاف المراسل ان الامر قد نشأت عنه أزمة وزارية . هنا ذكرت حديث الدكتور برامر الاول وما تضمنه من بيانات عن اقامة العاهل السابق بلوزان ونزوله بفندق « سافوا » وتسمية نفسه باسم « الكونت دى شابان » ووجدت من واجبى الصحفى ان اتعرف الخبر اليقين عن تلك المقابلة التى احدثت فى مصر ازمة وزارية

قصدت اذن الى فندق « سافوا » وطلبت مقابلة « كونت دى شابان » فأقبل على بعد برهة « حسين بك شعبان » أو « ابن شعبان » وكنت اعرف من أمر هذا الاسم ان اكبر تجار الطرابيش فى مصر يحمله كما يحمله ابنه الذى يعتبر صديقا حميما للنقيب « أحمد لطفى بك » .

سألنى شعبان بك ماذا ابتغى فأجبت انى أود التشرف بمقابلة سمو الخديو فصعد ليعرض الامر على سموه وعاد الى يقول ... اذا أردت مقابلة سموه بصفتك الصحفية فان سموه

لايرى لذلك فائدة لان الصحافة فى مصر مكممة ولانك لن تستطيع نشر شىء مما قد يدور بينكما من حديث ، واما اذا أردت المقابلة بصفتك مصريا فأبواب سموه مفتوحة لكل المصريين فأجبت على الفور ... بل بصفتى مصريا أود المقابلة والتمس لها مواعيدها فتركنى هنيهة قلت لنفسى خلالها « ماذا تهمنى الصفة مادمت أرمى الى تعرف الموضوع وجاء هو بعدها يدعونى الى التشرف بالمقابلة . بالدور الثانى أو الثالث لا اذكر الآن وفى احدى الغرف المطلة على البحيرة من فندق « سافوا » بمدينة « لوزان » يوما من الايام الاخيرة من شهر نوفمبر أو الاولى من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٢

تشرفت لاول مرة فى حياتى بالمثول بين يدى حضرة صاحب السمو الخديو عباس باشا حلمى الثانى وكل ماتستوعبه حافظتى من ذكريات متعلقة به يرجع الى انى ارتديت أول بذلة سوداء « مفصلة » عند ترزى ولبست أول قفاز حريرى ابيض لمناسبة زيارة سموه لمدينة المنصورة سنة ١٨٩٨ أو ١٨٩٩ واستقبلنا اياه نحن التلاميذ على شاطىء النيل ساعة وصوله وفى فناء المدرسة الاميرية فى اليوم التالى بأنشودة « سلام الخديو » التى كنت بين الاربعين تلميذا الذين اختيروا لترتيلها ويرجع الى تلك المواقف التى كنا نقفها نحن تلاميذ المدرسة التوفيقية والمدرسة الخديوية وكانتا المدرستين الثانويتين الاميريتين الوحيدتين بالقاهرة فى ذلك العهد ـ بحديقة الازبكية حيث كانت موسيقى الجيش البريتانى تعزف ألحانها للجمهور فكنا نقف موقف الانتباه محيين التحية الرسمية حين كانت تردد أنغام «سلام الخديو» على اعتبار انه رمز حريتنا ومصريتنا وكنا نمضى فى غير اكتراث حين كانت تردد انغام السلام الانجليزى اعلانا منا لعدم التبعية وعدم الخضوع كما كانت حافظتى تستوعب ذكريات وقوفنا نحن طلبة الحقوق فى طريق الخديو عند غدواته وروحاته بين قصر عابدين وقصر القبة نصيح « ليحى الدستور »

وذكريات غضبنا من سياسة « الوفاق » بينه وبين الممثل البريتانى فى مصر اذ وجهت سهامها الموحدة الى الحزب الوطنى الذى كان يمثل الوطنية المصرية فى ذلك الوقت ثم ذكريات خلع الحكومة الانجليزية اياه واعلانها الحماية على مصر وما أنتج ذلك الخلع مقرونا بهذا الاعلان من عطف على الضحية

وتلك الذكريات جميعا تتزاحم فى خاطرى مثلت بين يدى صاحب السمو وقد استاذن لى شعبان بك واعلننى وانسحب

وسموه أقرب الى القصر منه الى الوسط ضخم الجسم كبير الرأس أصلعه على عينيه الزرقاوين البراقتين منظار « امريكى » يخترق زجاجه بصره لحاد ، مقصوص الشوارب ، حلو الابتسامة ، ظريف الاستقبال . مد يده مؤهلا فصافحتها باحترام صادق ودعانى الى الجلوس ففعلت واخذ يسأل فأجيب ثم تحدث وكانت أسئلته اول الامر خاصة بعملى فى « لوزان » ومقامى وبما أتبينه من مصير للمفاوضات لدائرة فى المؤتمر وتحدث عنى فقال انه يعرفنى ويقف على مختلف جهودى ولا يزال يذكر جلسة « مجلس النظار » الذى تقرر فيها تعيينى مدرسا بمدرسة التجارة كما يعرف انى ابن عم الدكتور سيد كامل وانه تتبع باهتمام نشاط الحزب الديمقراطى الذى اشتركت فى تأسيسه وذلك بأن سنوات الحرب على حد قوله الحرفى - قد علمته ان يكون ديمقراطيا - وذكر مصر فتدفق يسأل عن اشخاص معينين من مختلف طبقاتها . امراء وزعماء وعلماء وموظفين وملاك ومحامين واطباء وصحفيين وعمد وضباط وافقار ومهربى الحشيش يذكرهم ويذكر الى جانب كل واحد منهم تاريخا له ولاسرته ومجملا عن حياته ونشاطه وتفصيلا لخلقه وموطن الضعف والقوة فيه ويذكر لمناسبته حادثة سياسية أو عملية مالية أو قصة اجتماعية ويروى نادرة قد يرد فيها ما يتعلق بنص او قاتل عرفه سموه شخصيا وتبادل واياه الحديث .

قاموس حى للاحياء والاموات من المصريين الذين لعبوا دورا

فى الحيـــاة المصرية منذ عهـدا سماعيل وحافظة جبـارة تـلم بالدقائق والتفاصيل وشخصيةجذابة يكتنفها الظرف كل مكتنف وحديث حلو متنقل مرسل ذلك هو الاثر الذى تركه فى نفسى مثولى أول مرة بين يدى سموالخديو عباس حلمى باشا الثانى الى جانب اقتناعه حين قال لى انه « اصبح ديمقراطيـــا » بأنه لم يكن الا مداعبا موطنا حساسا عرفه عند محدثه والى جانب احساسى انه لم يكن بعـد واثقاً الثقة كلها حين قال ردا على سـؤالى الخاص بمقابلة ثروت باشا الذى انتهزت الفرصـــة لطرحه « لا انا لم اقابل ثروت ولماذا اقابله ؟ وماذا يستطيع ان يفعـله لى لقـد عرفت ثروت دائما « العجلة الخامسة للعربة » ثم صرفنى سـمـوه واعدا ان يدعونى الى مقابلات اخرى مدة وجودنا « بلوزان » وهكذا كان طرف تشرفى بمعرفة الخديو .

بعد أربعة أيام أو خمسة من انصرافى من حضرة صاحب السمو الخديو حين التشرف بالمثول بين يديه للمرة الاولى بمدينة لوزان فى سـنة ١٩٢٢ اسـتدعيت لمقابلته مرة ثانيـة ثم تـكررت الاستدعاءات وتـكررت المقابلات وكان اعجـابى بذكاء سـموه وحافظته وتجاربه يزداد كلمـا ازدادت بيننـا الاحاديث وكنت أدلى لسموه بما اعلم من انبـاء المؤتمر وبما احاول ان أعرف من موقف الانجليز ازاء المسـألة المصرية فى هذا المؤتمر استئناسا برأيه الذى أحسبه نتيجة قيمة لتجارب عدة وكان فيما رويته لسموه انى نظرا لعـدم وجود مصرى داخل المؤتمر ولفشـلى فى محاولة الاتصـــال بالوفـد الفرنسى لما هو معلق على مدخل قاعاته من انه غير مسموح لغير الصحفيين الفرنسيين بتجاوزه حاولت ونجحت فى ان «أفلت» بين الصحفيين الانجليز على اثر كل اجتماع للمؤتمر الى القاعة المخصصة لهم فى الوفد الانجليزى حيث يبلغهم موظف خاص تفصيل ما تم فى الجلسة المنتهيـة كمـا رويت أنى عرفت أحد الخبراء فى الوفد الانجليزى وانى اتحدث اليه فى المسألة المصرية .

وكان سموه متصلا اتصالا محكما بوفد « الحزب الوطنى » واتصالا غير جلى « بالوفد المصرى » وسأل سموه اصدقاءه الوفديين رأيهم فى ، وكانت العلاقات بين الاحرار الدستوريين والهيئتين الاخريين على غير مايرام فاجابه احدهم أو بعضهم أو كلهم لا ادرى سامحهم الله جميعا على أى حال — انى من جواسيس الانجليز — وجاءت روايتى لسموه انباء اتصالى بالخبير الانجليزى وبالمندوب الصحفى الانجليزى فى المؤتمر مدعمة فى نظره ذلك الرأى الذى تقدم به فى اصحابنا المصريون .

وسموه لاينفك يبحث لا منذ وضعت الحرب اوزارها فقط بل منذ سنة ١٩١٦ عن وسيلة يتقرب بها الى الانجليز ويتفاهم واياهم اى نوع من التفاهم ولاسيما فيما يتعلق بنتائج تصفية املاكه فى مصر حسبنى الواسطة الصالحة التى يجب تسييرها وتوجيهها لمصلحته .

وحدث انى اخبرت سموه يوما كما اخبرت الاستاذ حافظ رمضان بك رئيس الحزب الوطنى انى عالجت الشئون المصرية مع ذلك الخبير فى الوفد الانجليزى على قاعدة تأليف وزارة من عناصر ثانوية ترأسها شخصية لايكون بينها وبين الوفد « خصومة متأصلة » تطلب الافراج عن سعد باشا من جبل طارق فيلبى طلبها ثم تطلب رفع الاحكام العرفية فيلبى طلبها فتكسب بهذا وذاك غير قليل من عطف الامة ثم تصدر الدستور التى أعدت مشروعه « لجنة الدستور » فلا يقابل بالجفاء الذى كان يقابل به لو كانت وزارة ثروت باشا هى التى تصدره لما بينها وبين الوفد من عداء ثم تجرى الانتخابات فى جو يكون قد ضفى بما تقدمه على يد محايدة حقا من امور تطمئن لها البلاد وانما اشترطت وجود « شخصية » على رأس تلك الوزارة المكونة من عناصر ثانوية كى تستطيع ان تدفع محاولات انتقاص الدستور واقترحت ان تكون تلك الشخصية هى شخصية « رشدى باشا »

وطلب الى الخبير بهذا الرأى مذكرة رفعها الى وزارة الخارجية

ثم جاء يخبرني بأن رئيس القسم المصري يسره لو استطعت الذهاب الى لندن لنتحدث معا بشأن تلك المذكرة

وأفضيت بذلك كله لسمو الخديو وكان يود التقرب من الزعيم سعد باشا بقدر وده التقرب من الانجليز فوجد من أمر الفرصة السانحة التى يجب اقتناصها مزدوجة

وحلل سموه الموقف ووثق وافترض ثم قرر لنفسه خطة لم يفض بها الى لكنني فهمتها اذ كنت قد بدأت أفهم شيئا من جوانب تفكير صاحب السمو وكان الرأى الذى وصل اليه هو أن يفهم سعد باشا أن سموه هو الذى سعى الى فك عقاله من جبل طارق من ناحية وأن يفهم الانجليز أن سموه هو صاحب الحل الموفق الذى أتقدم به أنا من ناحية أخرى

وبعث يستدعى بالتلغراف حنفى بك ناجى من القاهرة ذلك لان حنفى بك على حد اعتقاد سموه من أصفياء سعد أئتمنه على الاوراق بالباخرة التى كانت قد أقلته هو وحاشيته فى رحلته الشهيرة الى الصعيد وذلك بأنى سأطلب من الانجليز اذنا بزيارة سعد باشا بجبل طارق حتى أبلغه أمر ما يكون قد تم عليه الاتفاق فيجب أن يذهب معى حنفى بك الى جبل طارق ويجب أن يبدأ هو بمقابلة سعد باشا ويفهمه ما يشاء سموه أن يفهمه كما يجب أن ينتهز حنفى بك فرصة لافهام الانجليز انه رسول الخديو فى تلك الحركة

وسافرنا الى لندن وهمى موجه الى ألا يعرف الانجليز من مهمة حنفى بك شيئا حتى لا يفشل المسعى جميعه وسواء لدى أن فهم سعد باشا أن الخديو هو صاحب الفكرة أم لم يفهم ، فانى أتوق الى تحقيق الفكرة لمصلحة مصر وكفى ... وليحظ بالفخر من يريده

وقابلت رئيس القسم المصرى بوزارة الخارجية الانجليزية وتحدثنا وطلبت اليه أذنا بزيارة سعد باشا بجبل طارق لى ولحنفى بك على اعتبار انه من أصفيائه الذين يثق بدرايتهم ، فقال ان هذا الاذن لا يمكن صدوره من غير رأى «لورد لنبى» المندوب السامى

البريتانى بمصر وانه سيكتب اليه بشأنه وأفضيت فيما أفضيت بأن الدافع الحقيقى لمسعاى « انما هو تألمى مما أراه حالا بمصر ورغبتى فى أن أرى أمورها العامة مسيرة بالخير »

لكن حنفى بك أخذ يلح بعد ثلاثة أيام أو أربعة فى مغادرة لندن وجوها غير محتمل فى شهر فبراير وأخذ يتعجل الحصول على الاذن بالذهاب الى جبل طارق فكتبت الى رئيس القسم المصرى أستوضحه مدى الوقت الذى يستغرقه استصدار الاذن فأجابنى انه ينتظر رد المندوب السامى عند نهاية الشهر

وكان مؤتمر لوزان قد أجل جلساته وكان على ان أعود الى مصر فقررت السفر مادامت مهمتى الاصيلة قد تمت واستبقيت حنفى بك فى لندن ينتظر الرد بعد أن قدمته تقديم معرفة فقط للموظف الانجليزى .

قصدت الى باريس واطلعت فى صحفها بعد أيام قليلة على أنباء أزمة وزارية فى مصر وكان دولة نسيم باشا هو القائم يومها بالحكم وسافرت الى « سان ريمو » حيث كان سمو الخديو لاودعه واذهب من هناك الى ثغر البندقية اركب منه الباخرة الى الاسكندرية وبينما أمضى يوما « بسان ريمو » قبل أخذ طريق العودة الى مصر وصل كتاب من حنفى بك الى سمو الخديو يقول فيه أنه ذهب لمقابلة رئيس القسم المصرى بوزارة الخارجية البريتانية وبين له مايقاسيه من جو لندن وافهمه أنه « لولا اخلاصه للرأس الكبيرة التى كلفته الذهاب الى انجلترا لما استمر بقاؤه »

فأجاب الرئيس «نعم انى معجب برأس عزمى واخلاصه لبلده» فقاطعه حنفى بك أى عزمى انى أقصد سمو الخديو »

وعدت الى مصر فوجدت مفاوضات تدور مع عدلى باشا لتأليف الوزارة الجديدة وعلمت أنه ورد خلال هذه المفاوضات ذكر لرأى أبداه «مصرى» بوزارة الخارجية البريتانية كما ورد اسم هذا « المصرى » ثم حدث ان ألقيت تلك القنبلة بجوار مسجد

«أولاد عنان» ورفض عدلى باشا تأليف الوزارة وعدلى باشا هو الاخر شخصية تستطيع ان تحول دون انتقاص الدستور وعهد الى يحيى باشا ابراهيم بتأليف الوزارة التى نفذ فى عهدها ما تضمنه رأى ذلك «المصرى» من اقتراحات فافرج عن سعد باشا وألغيت الاحكام العرفية وأصدر الدستور

واذا كان الدستور قد أصابه بعض الانتقاص والاحكام العرفية قد الغيت بتضمينات فقد افرج عن سعد باشا من غير شرط أو قيد لكن الافراج تم دون ان تكون هناك زيارة لجبل طارق وبخاصة دون ان يكون هناك سابق تحدث فى الموضوع بين سعد باشا وحنفى بك ناجى .

وهكذا لم يكن التوفيق قد بين الخطة التى ارتسمها سمو الخديو لنفسه فى سبيل التقرب من سعد باشا للمرة الوحيدة التى اعرفها أنا بالذات .

مع لورد لويد

تهيؤ للرحيل

في شهر مايو من سنة ١٩٢٩ وقـــد الغى مجلس وزراء « الديكتاتورية » الاولى «جريدة الشرق الجديد» التى كنت اساهم فى تحريرها كما كان قـــد الغى من قبل « جريدة وادى النيل » لنشرها مقالاتى فكرت فى الهجرة من مصر الى اوربا انعم فيهـــا بالحياة فى جو « باريس » الحر الطليق وانعم فيها كذلك بتدوين بعض ذكرياتى عن الحركة الوطنية القومية المصرية التى لابســـتها ولا بستنى حوادث ورجالا منـــذ قامت قيامتها الفعلية فى سـنة ولابستنى حوادث ورجالا منذ قامت قيامتها الفعلية فى سنة ١٩١١

وكنت احسب تلك الذكريات اذا ما دونت تخرج للناس يوما فى سفر اسميه « على هـــامش التاريخ المصرى » واضمنه سرد للوقائع التى شهدتها وتحليلات لشخصيات عرفتها واترك ذلك كله « مصادر للمؤرخين »

لورد لويد

وكان « اللورد لويد » يتولى فى ذلك الحين منصب المنـدوب السامى البريتانى بالقــاهرة ، وكان يقوم فى السياســة المصرية وفى الادارة المصرية بدور كبير له اثره فى تكييف الامور وتسيير الشئون ولم اكن اعرفه بالذات وكنت احسبه جديرا بفصل من فصول ذلك السفر الذى كنت اذعت فكرة اخراجــه او تدوين « مهماته » على الاقل فاعتزمت السفر للحظوة بمقابلته والاستماع

اليه ورجوت صديقا من رجال « الدار » فى ان يهيىء لى فرصة المقابلة التى أخبرته القصد منها وباستعدادى للاكتفاء خلالها للتفرس فى « لورد لويد » تفرسا يعاوننى على استخراج شيء من نفسيته التى كنت احسبها « غير عادية » على الاقل

ما كنت اعرفه عن لورد لويد

ولم اكن اعرف شخصية « لورد لويد » اكثر مما يعرفه غيرى من الصحفيين المتصلين مثل اتصالى بالحياة العامة المصرية فى ذلك الحين . وكل ما كنت استطيع الاستناد عليه فى التدليل على ناحية من نواحى الرجل النفسية انما هى بعض حوادث وقعت لعدلى باشا معه وانما هى بعض تعليقات من عدلى باشا على هذه الحوادث بالذات

حول تبادل الزيارات

فقد زاره عدلى باشا مثلا مرة اثناء قيام وزارة « زيور باشا » بناء على مشورة ثروت باشا ثم اعلن هو عن رغبته فى مقابلة عدلى باشا مرة ثانية فرفض عدلى باشا ان يذهب اليه لانه لم يكن قد ادى لدولته زيارته الاولى وتدخل ثروت باشا فى الامر وانتهى بان دعى « لورد لويد » عدلى باشا الى « تناول الشاى » لا الى زيارته وكان اول ما تقدم لعدلى باشا حين استقبله انما هو حديث الزيارات وتبادلها وقد اعلن اسفه « اذ قيل له فى الدار ان المندوب السامى لا يرد الزيارات » فاجابه عدلى باشا انه لا يريد ان يتدخل فى تقاليد الدار ولكنه يعرف ان من سبقوا « لورد لويد » فيها كانوا يردون له زياراته فاعتذر اللورد ووعد برد الزيارة لعدلى باشا بعد عودته من السودان وكان معتزما القيام برحلة اليه بعد يوم او اثنين

الموظفون الاجانب

وكانت اجال عقود كثرة الموظفين الاجانب قد حلت ايام

وزارة « الائتلاف » الاولى لسنة ١٩٢٦ فتقدم « لورد لويد » من رئيسها عدلى باشا بمطالب خاصة بتجديد بعض تلك العقــود او زيادة مرتبات اصحاب بعضـــها وبزيادة مدة التعاقد فى بعضــها الاخر فرفض عـــدلى باشا ان يتحدث اليه « لورد لويد » بشان من شئون تلك العقود التى يعتبر امرها بين الحكومتين المصــرية والانجليزية قد سوى بمجـــرد صدور قانون التعويضات فاصبح من اختصاص الحكومة المصرية وحدها ان تتصرف فيها بما تراه هى من مصلحتها دون تدخـــل احد فاظهر « لورد لويد » موافقته على راى عدلى باشا لكنه قصد الى حضرة صاحب الجلالة يتحدث الى جلالته فى الموضوع على اعتبار أنه موضوع يتحدث فيه للمـرة الاولى وافضى صاحب الجـلالة لعدلى باشا بمسعى « لوردلويد » فاظهر دهشته اذ يحاول اللورد هذه المحاولة بعد ان وافق عـلى الرأى القائل بعـدم تدخله ولم يمكنه عدلى باشا عـلى أى حال من التدخل

الجـانب الكاريكاتـورى

وكان لورد تيرل « سر » وليم تيرل وكيل وزارة الخارجية الدائم فى ذلك الوقت قـد جـاء يمضى بمصر شهرا من شـهور الشتاء سنة ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ او الشتاء الذى بعده فتقابل مـع عدلى باشا فى الصعيد فجـرى بينهما الحديث على « لورد لويد » فقال « لورد تيرل » ان للمندوب السامى البريتـانى الى جانبـــه « الكاريكاتورى » جوانب جـدية تقدر حقا اذا عـرفت فأجـابه عدلى باشا ولكنــه لم يرنا نحن غير جانبه « الكاريكاتورى » .

فى طريق اللورد لـويد

وفى جعبتى مثل تلك المعلومات الخاصـــة الى جانب المعـلومات العامة المعروفة وصلت الى دار المندوب السامى قبيـل الساعة السابعة من مساء اليـوم الذى حـدد لى تماما هـذه الساعة للحظوة بمقـابلة لورد « لويد » بقصد التفرس فيـه والاستماع

اليه اذا شاء كي يعاونني على ان اخصص له بعض صفحات « هوامشى » التاريخية .

وبعد دقائق أمضيتها انتظارا عاد الى « الياور » الذى كان قد استقبلنى حين وصولى ودعانى الى ان اتبعه فى دهليز غير مضاء ثم وقف ووقفت مقتربين من باب غرفة لليسار وسألنى فى كثير من « الرسمية » « محمود عزمى بك ؟ » فأجبت على الفور لا بل « مسيو محمود عزمى فقط » فتح الباب الذى كنا قد وقفنا عنده فخرجت منه أشعة النور الذى كان مضاء فيه فانتشرت فى ناحية من نواحى « الدهليز » المظلم ودخل « الياور » واعلن فى « رسمية » جلية « مسيو محمود عزمى » وافسح لى الطريق فدخلت وخرج هو مغلقا الباب .

فى حضرة لورد لويد

وحييت اللورد فى انحناءة وكنت حاسر الرأس اذا كنت البس « القبعة » فى ذلك العهد وكان اللورد ناهضا الى مكتبه مادا يده فصافحته ثم جلسنا متقابلين وبدا الى اللورد « لويد » وانا على مقربة منه اسمر الوجه اسود الشعر سريع الحركات عصبيها فكان على غير ما اعرفه فى كثرة الانجليز وما يعرفه الناس جميعا وفى مثل الانجليز .

بالانجليزية أو بالفرنسية

وبادرنى اللورد متحدثا باللغة الانجليزية ومسائلا « هل سيدور الحديث بيننا بالانجليزية او بالفرنسية ؟ » فأجبت فى لغة انجليزية « بل بالفرنسية » فغضب اللورد ملاحظا « ولكنك تتكلم الانجليزية » فقلت « لكنى أجيد الفرنسية » فقال « اذن سينالك مضض فرنسيتى » قلت « خير من ان ينال فخامتكم مضض انجليزيتى » ثم مضى اللورد يتحدث فرنسية يجيدها ويتقنها

التضحية فى سبيل الرأى

ودار الحديث اول مادار حول القصد من زيارتى ومناسبة هذا القصد منها فوجدت لورد « لويد » يعرف انى اختلفت مع



وغضب اللورد ملاحظا ـ ولكنك تتكلم الانجليزية !..

« الاحرار الدستوريين » من اجل ما اصاب الدستور فى التاسع عشر من يوليو لسنة ١٩٢٨ كما يعرف انى كنت هنيئا فى جريدة « السياسة » وفى بيئة « الاحرار الدستوريين » وانه قد أصابنى شخصيا من جراء تركى لهم ولجريدتهم ما اصابنى من ضيق وقلق يضطرانى الى « الهجرة المختارة » من مصر ثم وجدته يعلق على ذلك كله بقوله وانى وان كانت آرائى مخالفة لارائك وسياستى لاتنال موافقتك لافهم تلك التضحيات فى سبيل الرأى واقدر الغضب من اجل المبدأ واحترم كل من يصدران عنه احتراما .

هل عرض نظام الدومنيون على ثروت باشا ؟

وعرض اللورد فى حديثه الذى عقب به على تلك الملاحظة الاولى بشىء من سياسته «التى لاتنال موافقتى » وخطته التى يعتقدها وان لم يجاريه المصريون فى اعتقاده فى مصلحة المصريين وخير مصر وعلاقاتها الدولية وسجلت على لسانه فى هذا الصدد عبارة احسب ذاكرتى لاتخوننى حين أقول انها كانت على هذا النص .

« ليس لى أن أقفك على السياسة التى أعتزم تحقيقها فى مصر وان كنت اومن انك لاتوافق عليها لكنى عرضت على ثروت باشا الحل الوحيد المخرج من مآزقها جميعا فلم تكن لديه شجاعة قبوله .

ولم يزد لورد « لويد » هذا القول ايضاحا ولم يكن لى وقد احاطه بما احاط من سياج ان استزيده ايضاحا لكن عبارة اللورد لويد تركت فى نفسى من الاثر ما جعلنى احسب ذلك العرض الذى يعرضه لورد « لويد » ولم يقبله ثروت باشا رئيس الوزارة الائتلافية الثانية انما هو عرض تطبيق نظام الاجزاء الامبراطورية المستقلة على مصر على انى الى الان لم استطع ان اتحقق من صحة ذلك الاثر الذى تركته تلك العبارة فى

نفسى ولاشك ان المؤرخين سيجدون فى مذكرات ثروت باشا مايوضح هذا الموقف كل توضيح

اتفاقية المياه

وكانت اتفاقية « مياه النيل » قد عقدت فى ذلك الحين بين الحكومتين المصرية والانجليزية

وكان لورد « لويد » معتزا بوصوله الى عقدها اعتزازا فسألنى رأيى فى تلك الاتفاقية وكانت موضع اهتمام الصحافة والوفد والهيئات السياسية الاخرى وكان المهندسان الكبيران عثمان محرم باشا ومحمد زغلول باشا قد تقدما لمناسبتها بمذكرة أو مذكرتين وكنت اتصل فى صددها باهل الذكر والاختصاص فى شئون الرى وفنونه وكنت خارجا من ذلك كله بان الاتفاقبة فى غير مصلحة مصر من جانبين فلما سألنى لورد « لويد » فيها اجبت « ان لى عليها ملاحظتين » فقال فى دهشة وعصبية «ملاحظتين» قلت : نعم قال : لك على الاتفاقية اعتراضان ؟ قلت نعم ، قالَ ماذا أسمع ؟ قد كان هنا قبل وجودك بساعة واحدة « وزير ... سابق » أحد رجال الرى المشهود لهم بالكفاءة التامة وقد تحدثنا فى اتفاقية المياه فكان رأيه متجليا فى قوله لى «انى لا افهم كيف اعطيتم مصر كل ما اعطيتم فى الاتفاقية فقد كنتم اسخياء جدا » .

وكانت خريطة السودان والبحيرات واواسط افريقيا ملصقة على الحائط الى جانب مكتب المندوب السامى فنهض لورد لويد ونادانى مشيرا الى الخريطة وقال « نعم هذا هو السودان لكن هذه هى بحيرة فيكتوريا ، وهذه هى أوغندا وانت تعرف ان اوغندا مستعمرة بريتانية لادخلْ لمصر فيها البته ومع ذلك فقد جعلت الاتفاقية لمصر حق الاشتراك مع اوغندا فى تقرير الاعمال الكبرى التى تقام داخل حدودها ومع ذلك كله تقول ان لك اعتراضين ؟ .

قلت « لى اعتراضان اخذتهما من اهل الذكر والفن وسيظلان عندى اعتراضين مادام اهل الذكر والفن يعتبرانهما على هذا النحو» وسردتهما على حد ماكنت اعرفهما فى ذلك الوقت .

هل يدلون اليهم بالحقيقة ؟

لكن اللورد « لويد » لم يقتنع وحاجتى برأى ذلك الفنى الكبير والخبير الخطير الذى قال له ماوحاجنى برأى ذلك الفنى الكبير انى اخشى ان يكون من الصعب جدا ان تتعرفوا حقيقة احساس جميع من يتحدثون اليكم من أمثال من تذكرون . ذلك بأنهم يعرفون اتجاهاتكم وميولكم فيسابقونكم فيها ظنا منهم ان هذا يسركم وهم يريدون ان يدخلوا عليكم السرور وكفى حتى تظل علاقتهم بكم علاقات سرور ومودة قد تنفعهم ، وهم مثلا يستوزرون اما انا الصحفى والصحفى « المؤيد » غير المستوزر فانى اقول للمصريين ان لى على اتفاقية مياه النيل اعتراضين وهذا القول نفسه هو الذى اتقدم به اليكم أيضا وبالذات .

الثقافتان

ثم نقل لورد لويد الحديث الى موضوع الثقافتين الفرنسية والانجليزية وكان اللورد يسعى فى نشر نفوذ الثقافة الانجليزية على الجامعة المصرية وكنت أنا من المعارضين لهذا السعى ، لاسيما فيما يختص بكليتى الاداب والحقوق اللتين يجب أن تكون الثقافة النافذة فيهما ذات صبغة مصرية قبل كل شىء وهما العاملان على تكوين التفكير المصرى والاجتماع المصرى واذا كان محتوما أن يكون لثقافه أجنبيه نفوذ فيهما فانما هى الثقافه اللاتينية التى يستند اليها هذا النفوذ من الوجهة التاريخية وما تقرره من تفاعل ثقافات البحر الابيض المتوسط.

واذا كان لا بد من فتح المجال للثقافة « الانجلوسكسونية» فليكن ميدانها كليتى العلوم والطب وماإليهما من معاهد تتمشى طبيعة التحصيل فيها مع طبيعة التحصيل فى الكليتين

وأحسب الحديث فى هذا الموضوع لم يقنع واحدامنا بوجهة نظر الاخر

لا تكن قاسيا على المندوب السامى

ودامت حظوتى بالوجود فى حضرة لورد لويد نحو ثلاثة أرباع الساعة استمعت خلالها الى كثير وتفرست أثناءها فى كثير

وعند ما هممت بالاستئذان للانصراف تفضل اللورد لويد فأظهر استعداده لمقابلتى فى باريس وهو فى طريقه الى لندن حين يقصد اليها فى اجازة الصيف وللادلاء بما قد أكون فى حاجه اليه من معلومات تكميلية

وكانت آخر كلمة وأنا أجتاز باب مكتبه « لا تكن قاسيا جدا على المندوب السامى »

فى لندن لافى باريس

ورحلت عن مصر الى باريس وجد فى الافق السياسى المصرى- الانجليزى ما جد من جراء فوز العمال فى الانتخابات العامة وتوليهم الحكم بتأييد الاحرار ، وجد فى أفق "دار" المندوب السامى البريتانى ماجد من جراء الخلاف الذى بين لورد لويد ومستر هندرسون وزير الخارجية الذى انتهى الى استقالة لورد لويد ومناقشته هذه الاستقالة فى مجلس العموم واعلان مستر هندرسون لمناسبة هذه المناقشة التى أثارها صديق اللورد مستر تشرشل ان وزير الخارجية السابق فى حكومة المحافظين سر « استون تشمبرلين » كان قد بعث ببرقية للورد لويد يطلب اليه فيها ان يكف عن التدخل فى شئون الحكومة المصرية فلم ينزل عندها فنشأ الخلاف فى الواقع بينه وبين وزير الخارجية منذ ذلك العهد السابق ولتولى العمال زمام الحكم .

وكانت المفاوضات تجرى فى لندن بين مستر هندرسون ومحمد محمود باشا فقصدت الى لندن كما قصدها غيرى من المصريين الذين

يعنون بمصير مصر وعلاقاتهـــابانجلترا وهناك سعيت لمقـابلة لورد لويد « المستقيل » لاقف منه على بعض معلومات تكميلية كنا نحسب اثناء اجتماعنـــا فى القاهرة ان « فخامة المنـــدوب السامى » سيتفضل بالادلاء بهافى باريس .

رد سئف

وحظيت بمقابلة لورد لويد فى منزله بميدان « يورتلند » وتفضل فتحدث الى عن مصر ورجالاتها حديثا مستفيضا مطلقا من قيود « الرسمية » فشمل فى صراحة غير قليل من التعليق على الحوادث والرأى فى الاشخاص تعليقا ورأيا لم يتهيأ بعد ظروف اعلانهما

وتحدثنا عن استقالته فاعدت على مسامعه ماكان قد قاله لى فى دار المندوب السامى بالقاهرة حين ذكر تركى لجريدة السياسة وحزب الاحرار الدستوريين عن « فهم التضحية فى سبيل الرأى وقدرة الغضب من اجل المبدأ واحترامه كل من يصدران عنه احتراما »

وابديت له نفس الاحســاس وان كانت سياسته على حـــد تعبيره « لاتنال موافقتى »

حكومة صدقي باشا في سنة ١٩٣٠

لما ولى اسماعيل صدقى باشا الحكم سنة ١٩٣٠ وقلقت البلاد من جراء ظروف توليه الحكم على دستورها وحريتها العامة وحريات أفرادها الخاصة . هب المصريون صاخبين محتجين داخل مصر وخارجها هبة طبيعية محتومة هى هبة الدفاع عن النفس والاحساس بالخطر الداهم

وكنت فى ذلك الحين بمدينة «لوزان» ـ بل باحدى ضواحيها ـ أتبع فيها علاجا لمرض السكر الذى كنت أحسست شدة وطأته وانا قبل ذلك باسابيع فى مدينة لندن حيث كنت لمناسبة ماكان يجرى فيها من مفاوضات بين « الوفد المصرى » وحكومة العمال « البريتانية »

وفى «لوزان» كما فى «جنيف» وسائر عواصم العالم فى غرب أوربا طلبة مصريون يغضبون بطبيعة الحال لما يحل ببلادهم من أذى او خطر الاذى فاجتمع طلبة « لوزان » المصريون او المصريون المستزيدون من العلم هناك اذ كثرتهم قد جاوزت حدود التحصيل العادى باتمامها الدراسية العالية فى مصر وتباحثوا فيما يجب ان يؤدوه لبلادهم فى تلك المحنة واجتمعت بهم بعض الاحايين وقرروا أن يبعثوا ببرقيات الى مصر يحتجون على صدقى باشا فى بعضها ويناصرون (الوفد) فى بعضها الاخر ويدعون الامة قاطبة الى ان تقف الموقف الجدير بها وبدرجة ادراكها معنى الدستور وتقديرها نعم الحياة النيابية . ثم رأوا ان يقوموا بنصيبهم من الدعاية فى مثل تلك الظروف فراحوا ينشرون مقالات واحاديث

فى الصحف السويسرية وينتهزون فرص الاجتماعات التى يحضرها ذوو النفوذ فى العالم الدولى فيتقدمون خلالها بما يستطيعون ان يتقدموا به من شرح للموقف المصرى وما يكتنفه من تبعات .

فى باريس

ولما أتممت علاجى «بلوزان» قصدت الى باريس وقد اعتزمت الاقامة فيها اقامة لانى ادركت ان حياة الاحرار بمصر فى عهد صدقى باشا لن تكون بحيث تمكنهم من توجيه مواهبهم التوجيه الذى يحسبونه الوحيد فى مثل تلك الظروف التى يتولى الحكم فيها صدقى باشا ولانى أعرف من ناحية اخرى ان الاقامة فى اوربا تمكن من العمل لمصر عن طريق الدعاية لدى عامة المشتغلين بالمسائل الشرقية ولدى خاصة المتصلين بها كذلك على الخصوص ومع كثرة المصريين الذين يطلبون العلم فى باريس من رجال البعثات الحكومية التى يحول ارتباطهم بها دون حرية نشاطهم لأجل الامور العامة فان فى العاصمة الفرنسية دائما - وفى ذلك الحين بالفعل - نواة طيبة من «الاحرار» تعمل البيئة الفرنسية فى تكوينهم عملا يحسون معه ضرورة التقدم للمصلحة العامة وضرورة البذل فيها .

جماعة حقوق الانسان

ورأت تلك النواة من المصريين تنظيم الجهود هاوتدعيمها لدعايتها واحتياطا لما عسى أن يوجه اليهامن « مضايقات ادارية » ان تؤلف من نفسها « شعبة جماعة حقوق الانسان » وهى جماعة سياسية قوية لها فى باريس الى جانب مركز اتحادها الفرنسى العام مركز لاتحادها الدولى العام ايضا تتبعه كل ما ينشأ من شعب غير فرنسية .

وقامت بعض الصعوبات المبدئية فى سبيل انشاء الشعبة المصرية رجع اهمها الى اعتبار « نظامى » يقضى بأن يكون مركز العمل الرئيسى فى مدينة من مدن الدولة التى تتبعها جنسية المؤلفين

نها . لكن الاستعانة «بالسوابق» ذللت تلك الصعوبات الجوهرية فقد سبق للايتاليين غير « الفاشيين » الذين ابتعدوا عن بلادهم بحلول عهد «موسولينى» فيها ان اسسوا « شعبة ايتالية » لجماعة حقوق الانسان بباريس صدر من لجنة اتحاد الجماعة الدولية بعد الرجوع الى الجماعة الفرنسية ذاتها قرار باعفائها من شرط الوجود بالبلاد الايتالية لان افرادها انما هم فى ظروف تجعل هذا الوجود بالنسبة لهم مستحيلا .

وعلى هذه الوتيرة عومل طلب انشاء الشعبة المصرية وصرح لها بالقيام فوضعت لائحتها ضمنتها اغراضها واشارت فيها الى انها مقيمة بباريس بصفة موقوتة الى أن تزول ظروف الحكم الدكتاتورى فيها

نشاط الدعاية

واخذت « الشعبة المصرية » تنشط وتقوم بدعايتها عن طريق المقالات فى الصحف والتحدث الى رجال الدولة والبرلمان وعن طريق عقد الاجتماعات والقاء الخطب فيها

وكان من الاجتماعات التى عقدتها «الشعبة المصرية» بباريس أجتماع جعلت مناسبته ذكرى مرور خمسين عاما على حظوة مصر بنظامها النيابى الصحيح قبل ان تحتل انجلترا وادى النيل فتعطله وتستبدل به نظام « الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين »

وحضر الاجتماع عديدون من اصحاب الرأى من الفرنسيين ورأسه أحد أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسى خطب فيه من خطب من المصريين غير واحد من اعضاء مجلس النواب الفرنسى ايضا .

فضل جماعة حقوق الانسان

وظهر لنا بارحة الاجتماع وامسيته فضل جماعة حقوق الانسان وحكمة تأليف المصريين شعبتها المصرية بباريس ذلك انه

اتصل بنا ان المفوضية المصرية هناك سعت لدى ادارة البوليس - ولديه مباشرة دون وساطة وزارة الخارجية الفرنسية - كى يمنع الاجتماع الذى اعدت معداته فاحتطنا لنتائج المسعى المصرى الرسمى اذ أحطنا به علم الاتحاد الدولى والاتحاد الفرنسى فتدخل الاخير تدخل التنبيه الى ان شعبتنا المصرية مؤلفة وفق قوانين الجماعة ولوائحها وان قانونها مسجل وفق احكام القانون الفرنسى ومنشور فى جريدة فرنسا الرسمية وان كل حد من نشاطها انما يعتبر اعتداء على الجماعة العامة ذاتها

ووقع الامر الى من هم فوق ادارة البوليس فى العاصمة الفرنسية من رجال الدولة فاشاروا باتهام « حضرة صاحب المعالى محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض بباريس » ان حكومة الجمهورية لاتستسيغ تدخله المباشر لدى البوليس وانها لاتستطيع الحد من حريات الافراد والجماعات مادامت اعمالهم فى حدود القوانين الفرنسية

قانونان استثنائيان

وكان صدقى باشا قد اصدر دستوره «دستور سنة ١٩٣٠ » وكان برلمانه قد انعقد وكان هو قد استصدر قبل انعقاد برلمانه بيومين او ثلاثة ايام مرسومين بقانونين عدل باحدهما احكام قانون المطبوعات ومواد قانون العقوبات المتصلة بالصحافة وعدل بثانيهما قانون الجنسية اذ اضاف الى حالات اسقاط الجنسية الواردة فيه حالة جديدة خاصة « بالمصريين المقيمين فى الخارج » والذين يتصلون اى نوع من انواع الاتصال بهيئة او مكتب او جماعة تتصل هى الاخرى اى نوع من انواع الاتصال بحكومة نظامها الاجتماعى مخالف لنظام مصر الاجتماعى وفهم أمام صدور هذا المرسوم الثانى ان «الشيوعية» هى التى سيفضى مجرد الاتهام بها اتهاما اداريا باسقاط الجنسية عمن يراد اسقاط الجنسية

عنهم من المصريين المقيمين فى الخارج كما فهم أن استصدار « المرسوم بقانون » الخاص بهذا التعديل فى قانون الجنسية قبل ان ينعقد البرلمان بيومين اثنين معناه قيام الحكم الجديد من يوم اخراجه وعدم اعطاء الفرصة لمناقشته فى البرلمان او تعديله .

اشاعات

وراحت الاشاعات من القاهرة الى باريس او غير باريس من المدن التى يقيم فيها المصريون « غير المرغوب فيهم » من صدقى باشا ونظامه وراحت تجرى باسماء معينة بين هؤلاء وهؤلاء تقول انهم المقصودون بالذات بذلك التشريع الاستثنائى المستعجل وانه سوف تصدر المراسيم باسقاط الجنسية عنهم بين حين وحين .

والحق ان الذين كانت تجرى الاشاعات باسمائهم كانوا يقابلونها بابتسامة الاستخفاف والسخرية وبالاستعداد للبذل والتضحية فى سبيل آرائهم وفى سبيل مخاصمة نظام صدقى باشا والحمل عليه بكل ما يستطيعون .

سؤال فى البرلمان الصدقى

ووصلت الينا الجرائد المصرية يوما وفيها سؤال برلمانى تقدم به احد اعضاء حزب الاتحاد او الحزب الشعبى – هو عبد الله للوم على أية حال – يسائل فيه الحكومة متى تعتزم تطبيق احكام قانون الجنسية الجديدة فتسقط الجنسية المصرية عن اولئك المصريين المقيمين بباريس والمتصلين بجماعة تدين بالمبادىء الشيوعية وتتصل بحكومة موسكو وهى « جماعة حقوق الانسان » قرأنا ذلك السؤال البرلمانى الفذ ودعونا مجلس شعبتنا الى الاجتماع وتبادلنا الرأى فيما يصح اتخاذه لمناسبته من اجراء . وهممنا بنشر السؤال فى الصحف الفرنسية وفى الصحف الانجليزية ومجرد نشره يدل على قدر جهل « النائب المحترم » المتقدم به كما يدل على سوء نية الدافعين لتوجيهه والفرنسيون والانجليز

يعلمون ان جماعة حقوق الانسان تضم بين اعضائها رجالات فرنسا وانجلترا السياسيين وتضم بخاصة في صفوفها الاولى من كانوا يتولون في ذلك الوقت الحكم في فرنسا وانجلترا ، ومنهم «اريو» و «بول ونكور» و «باتو» ومنهم «مكدونالد» و «هندرسون» و «جون سيمون والفرنسيون والانجليز يعلمون كذلك ان المؤتمر السنوى الذى كان قد عقدته جماعة حقوق الانسان فى ذلك الوقت ايضا كان قد أصدر قرارا يعلن فيه عداءه لكل نظام « دكتاتورى » يمينى اوشمالى فاشى او بلشفى » وهذا القرار هو نفسه الذى اتخذه حزب العمال الانجليزي فى أحد مؤتمراته التالية لذلك المؤتمر الفرنسي الدولى لكنا آثرنا اهمال تلك الجهالة فى انتظار نتيجة المؤامرة المدبرة .

وكان السؤال هو اخر سؤال وجه فى دورة ذلك الحين البرلمانية وانقضت الدورة دون ان يرد عليه أحد من الوزراء واعتبرنا نحن المؤامرة ، مؤامرة تهديدية يقصد بها اسكاتنا او الحد من نشاطنا .

برقية التيمس

وظهر يوم من أيام أغسطس على ما أذكر جلست الى «كافى دى لابى» اقرأ جريدة « التيمس » بعد وصولها الى باريس بالطائرة وقع نظرى فيها على برقية من مراسلها بالقاهرة يقول فيها : ان مرسوما صدر بحرمان ثمانية من المقيمين فى الخارج لاتصالهم بانظمة شيوعية وكان سؤال عبد الله لملوم لا يزال عالقا فى الذهن وان كانت دورة برلمانهم قد انتهت دون أن يرد عليه وزير وكان عدد اعضاء مجلس ادارة الشعبة المصرية لجماعة حقوق الانسان بباريس ثمانية كما ورد فى برقية « التيمس » فخامرنى بعض شك أول الامر ثم قررت ان اتصرف على اعتبار ان اولئك الثمانية التى تعنيهم البرقية هم نحن أعضاء مجلس ادارة الشعبة بالذات .



وتلقيت منه الخبر فى هدوء، واذا هو يضحك ضحكة مسلية !...

تذكرة الشخصية

وجال بخاطرى تدليل ان فرنسا لاترضى عن الشيوعية وهى بطبيعة الحال لا ترضى عن الاجانب الذين يتصلون بالشيوعية ويقيمون فى بلادها وليس لديها قطعيا أى دليل أو شبه دليل أو قرينة أو شبه قرينة على أنى متصل بالشيوعية أى نوع من أنواع الاتصال .

واستطيع ان أدلك بغاية السهولة على انتقاد تلك الصلة انتفاء بل انى مسجل عند الشيوعيين فى عداد « الرجعيين » لانى «مثقف من ناحية والمثقون فى عمومهم خصوم لذلك «النظام الاحمر » ولان لى مقالات ضد « الشيوعية » بالذات من ناحية أخرى لكنى اعذر فرنسا اذا هى لم تعترتد ليلاتى اذنا مادامت حكومتى أنا — ومفروض انها تعرفنى خيرا مما تعرفنى أية حكومة اخرى — تتهمنى بتلك التهمة وتذهب الى حد اسقاط الجنسية من أجلها عنى واذن فلا يبعد بعد ان تذاع الاسماء التى اشتملها ذلك المرسوم الذى اشارت اليه برقية « التيمس » ان تتقدم السلطات الفرنسية وتطلب الينا مغادرة البلاد .

ولما كان واجبا على كل أجنبى مقيم فى فرنسا أكثر من شهرين أن يحصل على «تذكرة شخصية» تبيح له الاقامة وكانت السلطات الفرنسية تعتبر عدم وجود هذه التذكرة سببا كافيا لاخراج من تصل اليه يدها المناسبة من المناسبات وكنت أنا قد قدمت طلب الحصول على «تذكرة الاقامة» لكن لم أقصد الى المحافظة لاستلامها فعلا فقد كان أول همى بعد أن قررت مواجهة الامر كأنه واقع بالفعل أن أسعى على عجل لاستيفاء هذا الاجراء وفى تمام الساعة الثانية بعد الظهر كنت بالمحافظة وكانت فى جيبى تلك التذكرة

الزملاء

وفى انتظار الساعة الثانية بعد الظهر — وهو موعد استئناف العمل فى الدواوين بفرنسا حيث يقف عمل الصباح عند الظهر

تماما - سعيت لمقابلة بعض الزملاء القاطنين بالحى اللاتينى بالقرب من المحافظة وقصصت النبأ على من قابلت ونصحت بالاستعداد وبالاتصال ببقية الزملاء ، قصد الاستعداد أيضا ، وتقابلنا عصرا وتحدثنا فى الامر جديا وتلمسنا طريقة نستطيع أن نعرف بها أسماء أولئك الثمانية على التحقيق وأردنا أن نرسل برقية لاحدى الصحف فى القاهرة أو نطلب الى مراسل احداها فى باريس أن يتصل بجريدته ويحصل على تلك الاسماء لكننا ترددنا فى تنفيذ هذا الرأى لدقه ملابساته

صديق

وحضر اجتماعنا صديق كان يمر بباريس مرورا لا يشتغل بالسياسة ولا بالصحافة فلايلفت اسمه الانظار وعلم من أمريكا ما كنا نتباحث فيه فعرض علينا أن يبعث هو ببرقيه لاحد أصدقائه فى القاهرة يسأله الخبر فشكرناله وساطته ورحنا ننتظر الرد فى الصباح .

اختيار الحدود

وفى انتظار الرد عرضت فى المساء لمسألة الحدود التى اختارها حين تطلب الى السلطات الفرنسية مغادرة بلادها ففكرت فى سويسرا ثم فى بلجيكا ثم فى اسبانيا وكان الملك الفونس قد غادرها وأعلن فيها نظامها الحاضر - واستقر رأيى عليها وذكرت أن لا بأس من تمضية وقت فى الاندلس ، أستعيد فيه ذكريات الماضى العربى المجيد

ثم لاح فى الافق خاطر دفع تلك الخواطر جميعا وتساءلت لماذا لا أختار انجلترا ولماذا لا تكون لى فيها حملة على نظام صدقى باشا الذى يسأل عنه الانجليز كما يسأل صدقى باشا ولماذا أظهر فى مقالات اكتبها بشاعة ذلك التواطؤ «الانجليزى الصدقى» الذى يكون من اثره ان يقال لمن يجرى فى عروقه دم مصرى قديم عتيق « انك اصبحت بمجرد جرة قلم غير مصرى» ولما وقفت فى المطاف عند هذا الحل الاخير رضيت به وهدأ روعى ورحت

انتظر الرد على برقية الصديق الى الصباح ونمت نوما عميقا بعد أن اتصلت تليفونيا بزوجي التى كانت تصطاف بالقرب من « بيارتز » واخبرتها الخبر وتفاهمت واياها على ما كنت قد وصلت اليه من اختيار للحدود حين الرحيل .

أية جنسية جديدة

على ان سؤالا كان يتردد على طوال ذلك النهار وتلك الامسية فهب انى حرمت من جنسيتى المصرية فأية جنسية جديدة اختار ، وصعبت على الاجابة عن هذا السؤال لا لدقة الاختيار بل لعدم استطاعتى اعتبار الجنسية « قميصا » ينتزع ليحل محله غيره والجنسية فى نظرى كالدين لا اسيغ استبداله بالخروج منه والدخول فى غيره واسفت اذ لم تصل البشرية بعد فى اعتبار الجنسية الى ما وصلت اليه اعتبارات شتى اخرى فتكون عندنا « لا جنسية » تعتنقها هى الاخرى أو يكون عندنا « جنسية عالية » يعتنقها كل انسان .

وفى الصباح

وفى الصباح دق التليفون واذا بذلك الصديق الذى تفضل بالاستفهام من القاهرة تلغرافيا يقول بصوت متهدج « هذه هى الاسماء » الدكتور التونى . ابوبكر راتب . خليفة بويلى . توفيق صليب . محمود عزمى . ومضى يذكر اسماء الثمانية الاعضاء فى لجنة الشعبة المصرية لجماعة حقوق الانسان وانا اتلقى منه فى هدوء الخبر الذى كنت وطنت نفسى على صحته منذ البارحة ثم يضحك الصديق ضحكة مسلية ويكذب الخبر ويقول بل انها « شارلوت » رزنتال ..و....و .. » ومن لا أدرى الان من ممن اسقطت عنهم حق الجنسية المصرية بمقتضى المرسوم الاول الصادر وفاقا لحكم تلك المادة التى اضافها صدقى باشا الى قانون الجنسية قبل اجتماع برلمانه بيومين اثنين وبادرت من فورى ابلغ الاخوان مداعبا بمثل مداعبة الصديق والى هنا انتهى الحديث فى ذاته ولو أنه ظلت له بعد ذلك ذيول

قبل الدكتاتورية فى تونس

اذن انتهت تلك الاشـــاعة الخاصة بحكاية اسقاط الجنسية المصرية عن أعضاء « جمــاعة حقوق الانسان » بباريس على ذلك النحو المضحك الذى سردته لـكن لم يكن انتهاؤها الى ذلك الحد انتهاء قطعيا .. اذ كانت للحكاية كما ذكرنا ذيول نقــدم طرفا منها .

اشاعة المنع من الدخول

ذلك بأن اشاعة اســقاط الجنسية اذا كانت قد اختفت من الافق بعد أن تبين لنا ماتبين خلال برقية الصديق فان اشاعة أخرى قد حلت محلها وراحت أنباؤها تنقل بين الشرق والغرب بين مصر وفلسطين والشــام والعراق وبلاد العرب وبين فرنسا وانجلترا وسويسرا وتركيا وتلك اشاعة منعى من الدخــول الى القطر المصرى التى كانت تتردد الى أصداؤها خلال كتب يبعث بعض اخوتى من القاهرة وخلال أحاديث يبلغها أياى بعض الزملاء بباريس وخلال بعض الأنات التى كان يبثها بعض اصــدقائى فى البلاد العربية التى كنت أزورها .

سخافة لا دستورية

وكنت أرد على أولئك الذين كانوا يحمــلون الى أنبــاء تلك الاشــاعة أنها ســـخافة من السخافات التى لا يمكن تحققها لان مبادىء الحرية التى أقرها الدستور المصرى والتى احتفظ بها دستور صدقى باشا المعمول به فى ذلك العهد لا تجيز بحــال

منع مصرى من العودة الى بلاده اذ أنها تحرم نفى المصريين الى الخارج كما تحرم حظر الاقامة عليهم فى كل مكان .

حتى جريدة كبيرة

لكن الاشاعة كانت تتوارد بالحاح وكان مروجوها يصرون على صحة اشاعتها ولا يقيمون وزنا لتدليلاتى « الفقهية » ويميلون الى الاعتقاد بأن عهد صدقى باشا قد اهدر الحريات جميعا وقد استساغ الخروج على كل قاعدة قانونية دون أن يقف فى سبيله أى اعتبار وذهب هذا التوارد الى حد أن جريدة من جرائدنا الكبرى أشارت فيما نشرت من مقال خاص بنوع من النشاط الذى كان يبدو اذ ذاك فى بلد من البلاد العربية لمناسبة التفكير فى نوع نظام الحكم الذى يصلح له اشارت الى بالذات على اعتبار انى « صحفى مصرى ممنوع من العودة الى وطنه »

برقية

وعلى الرغم من كتابتى الى تلك الجريدة الكبرى ألفت نظرها الى الخطأ الذى وقعت فيه ونشرها ما يبعث به اليها فان الاشاعة ظلت متواترة وملحة وظل الاصدقاء يبعثون الى بمعلوماتهم وافتراضاتهم ونصائحهم وكانت كلها قائمة على اعتبار صحة تلك الاشاعة واعتبار كونها حقيقة واقعة .

وبدأت أنا تحت تأثير ذلك الالحاح العجيب من اخوتى وأصدقائى أخفف من « غلواء » ايمانى بقدسية الاحكام الدستورية وعدم جرأة « الدكتاتور » على ماظل جزءا من أحكام دستوره بالذات فبعثت الى صديق عزيز فى القاهرة أقص عليه القصص وأطلب اليه اجابة تلغرافية تقتصر على احدى الكلمتين فاما « نعم » اذا كان للاشاعة نصيب من الصحة واما « لا » اذا لم يكن لها من الصحة نصيب وجاءتنى برقية متضمنة « لا » وحملت انباء الاخوة والاصدقاء على شدة قلقهم وحرصهم على هنائى .

قرينة

لكن مالبثت تلك البرقيـــة تضع الامور فى نصـــابها حتى حدث ماشاء الناس فى مصر الا يعتبروه قرينة أى قرينـــة على صحة الاشاعة وحقيقة الامـر بمنع دخولى الى مصر .

ذلك انى اعتزمت المجىء الى مصر أمضى فيهاشهرا أو شهرين وقصدت الى ثغر « البندقية » وركبت منه الباخرة « فيكتوريا » الحديثة بالفعل وسارت بنـــا الباخرة من ثغر البندقية الى ثغر « برنديزى » فى طريقهـــا الى الاسكندرية وكان الشهر شـــهر اغسطس وكان البحـــر هادئا وكانت الرحلة بديعـــة وكانت وسائل الراحة الحديثة كلهـــا متوافـــرة فى الباخرة الجـديدة وكنت هنيئا بذلك كله وبالعودة بعد بعض غيبة الى مصر على أى حال .

ونحو الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى لقيام البـــاخرة من « البندقية » بينما تقتـــرب من « برنديزى » تبقى فيها ساعات ثم تستأنف المسير الى الاسكندرية تصل اليها بعد يومين ، اثنين تقدم منى احد « غلمان » الباخرة وقدم لى برقية لاسلكية التقطتهـــا الباخرة اثناء سيرها عبر البحر وفضضت الغـــلاف ووجـدت البرقية مرسلة من « كارلسباد » ومطلوب الى فيها ان اقطع رحلتى فى « برنديزى » وان اعـــود الى باريس مباشرة لعمل هام ينتظرنى هناك وكانت البرقية من سـمو الخديو السابق الذى كنت متصلا بسموه اتصال عمـــل ودهشت لهذه البرقية اذ لم يكن قد مضى اكثر من ثلاثة ايام او اربعة على تركى لسموه فى مدينة «لوزان» ولم يكن هناك على ما اعلم عمل يستدعى الرجوع الى باريس على عجل وكنت فى الواقع قد هيأت نفسى لتلك العودة الى مصر بعد غياب وبعثت لاخوتى بانتظارى فى الاسكندرية .

فتمردت على تلك البرقيـــة اللاسلكية واردت اعتبارها نوعا من « هـــوى الامراء » وقـــررت التغلب عليهـــا « باعتبارها قد

وصلت الى بعد مغادرة الباخرة برنديزى واذن فحيث لا استطيع النزول قبل وصولى الى الاسكندرية فعلا »

لكن صاحب السمو واسع الحيلة وكثير الاحتياط فما ان رست الباخرة فى « برنديزى » حتى صعد اليها مندوب شركة « لويد تريستينو » واخذ يصيح مرسلا اسمى بين الارجاء فتقدمت اليه واذا به يقدم الى برقية لم توجه الى بالذات بل وجهت الى مكتب الشركة وفيها ان « ابلغوا محمود عزمى بالباخرة فيكتوريا ان يقطع رحلته ببرنديزى وان يعود الى باريس » واذن فقد شهد على شاهد انى ابلغت فى ثغر « برنديزى » واذن فلن تجوز حيلة « وصول البرقية وانا فى عرض البحر بعد برنديزى » واذن فلابد من النزول برا والعودة الى باريس وكان بين ركاب الباخرة فى الطريق الى الاسكندرية احد وزراء الدول المفوضين فى القاهرة ولم اكن قد اخبرته خبر البرقية الاولى ولم يكن يعرف شيئا عن احتمال مغادرتى الباخرة فى برنديزى فبحثت عنه على عجل واخبرته انى مغادر الباخرة اذ وصل الى نبأ برقى يستدعى عودتى الى باريس وودعته واعدت من جديد حقائبى ونزلت الى البر حانقا .

خبر فى الاهرام

وبعد أسبوعين من ذلك الوداع اطلعت فى باريس على جريدة « الاهرام » فوجدت فيها وصفا احتل من أنهرها ثلثى نهر « لما قررت الحكومة اتخاذه من اجراءات الحيلولة والمنع والقمع لمناسبة عودة محمد محمود باشا من الخارج ووجدت فيها فى ذيل هذا الوصف مباشرة خبرا عنوانه « الاستاذ محمود عزمى » وفيه أنى كنت قد اعتزمت العودة الى مصر منذ أسبوعين وانى ركبت الباخرة من البندقية بالفعل لكننى تسلمت برقية لاسلكية فى عرض البحر جعلتنى اغادر الباخرة الى « برنديزى » واقفل راجعا وفهمت ان النبأ قد وصل الى الاهرام عن طريق مقابلة

جرت بين أحد محرريه والوزير المفوض الذى عاد الى مصر بالباخرة التى كنت قد ركبتها من «البندقية» والذى يعرف انى صديق الزميل المحرر بالاهرام فقص عليه نبأ ماحدث .

وكان لنشر الخبر الخاص بى فى ذيل الخبر الخاص بالاجراءات المتعلقة بمنع الاحتفاء بمقدم محمد محمود باشا من الاثر فى أذهان القراء من أصدقائى ان حسبوا تلك البرقية التى تلقيتها فى عرض البحر صادرة عن صديق لى فى مصر عرف انى ممنوع من العودة الى القطر المصرى وذهب خصب التخيل الى حد الظن بانه وقف على الاجراءات التى تعتزم الحكومة اتخاذها قبلى حين أصل الى ميناء الاسكندرية فاثر ان ينبئنى بالامر قبل وقوع المحظور .

وهكذا زادت الاشاعة قوة بانى جد ممنوع من الدخول فى مصر .

فى القدس

وفى شهر ديسمبر بعد ذلك « الاغسطس » الذى كنت اعتزمت المجىء فيه الى مصر قصدت الى فلسطين لمناسبة انعقاد المؤتمر الاسلامى وكنت قد اعتزمت اعتزاما أكيدا قبل مغادرتى باريس الا استسلم لضعف يجعلنى أقصد من القدس الى القاهرة فلما وصلت الى بيت المقدس اتصلت تليفونيا باخوتى فى القاهرة ونالنى من جراء الاستماع الى أصواتهم وتقدمهم بالسؤال «متى تصل الى القاهرة» ما نالنى مما خشيت ان ينزل بى شيئا من ذلك الضعف الذى قررت فى باريس الا ارضخ له فامضيت الليلة قلقا وملت فى بعض الاحايين الى ان اركب فى الصباح قطار القاهرة وأصل اليها مساء اجتمع بأهلى وأصحابى لكنى امسكت بشجاعتى كلها وحررت خطابا فى الصباح الباكر لصديق عزيز لى فى القاهرة اقول له فيه انى على مسافة نهار واحد من القاهرة لكنى لن اقصد اليها لانى مصمم على الا تطأها قدماى واهلها على ماهم عليه من « خنوثة » اذ يقابلون اعتداء

صدقى باشا على الدستور والحريات ذلك الاعتداء القاسى البشع بمجرد توجيهات وابتهالات يبعث بها الباحثون الى الله ورسوله وكنت حين اكتب هذا الذى كتبت انما اريد تسجيل تصميمى على عدم المجىء الى مصر والحيلولة بينى وبين ما قد ينتابنى من ضعف تحت تأثير من نوع ماشعرت به وانا استمع الى ذلك الصوت الذى يسائلنى متى تجىء الى مصر ؟

وكان لهذا الموقف «الامتناعى» أثره كذلك فى رواج الاشاعة التى كنت اسمعها من عديد المصريين الذين ذهبوا الى القدس يحضرون المؤتمر الاسلامى العالمى وفى زيادة الاقبال على تصديقها .

لا دلالة

وكل ذلك بينما لاتصادفنى فى أوربا دلالة على وجود أى أثر لتلك الاشاعة التى صدرت عن القاهرة فكثيرا ماكانت أوراق جواز سفرى تنتهى قبل انتهاء مدته بزمن طويل فكنت اقصد الى قنصلية مصرية اطلب منها جواز سفر جديد فلم اكن أقابل فيها الا بما ينبغى ان يقابل به المصريون ولم يكن يلوح لى خلال اجراءات تجديد الجواز اى شىء يدل على أن لدى القوم «تعليمات» خاصة بشأنى وكنت اتعمد الذهاب الى قنصليات متعددة اطلب منها التجديد فلم تكن الاجراءات فيها كلها تنم عن شىء غير عادى .

شىء من الايضاح

وعدت الى القدس بعد سنة من موعد انعقاد المؤتمر الاسلامى وقابلت فيها صديقا مصريا متصلا بصدقى باشا وحزب الشعب وجريدة الشعب نوعا من الاتصال فتحدث الى وسألنى لماذا لا اعود الى مصر وانا لست ممنوعا من العودة اليها وقص على فى هذا الصدد انه قصد الى صدقى باشا يوما اشتدت فيه الاشاعة بمنعى من العودة الى مصر وسأله هل صحيح انى ممنوع من العودة فاجابه صدقى باشا ان الاشاعة غير معقولة لانه لايمكن منع

مصرى من العودة الى مصر فقال له الصديق « اذن يصح أن تكذب الاشاعة فى جريدتنا (يعنى جريدة الشعب) »

فاستحسن صدقى باشا عدم ترديد الاشاعة وعدم تكذيبها وتركها تجرى كما تجرى وتترك ما تترك من أثر .

فى النادى المصرى بلندن

والواقع أن أثرها كان عظيما فى نفوس الاخوان المصريين فى اوروبا فكنت كلما قابلت واحدا منهم يحدثنى على اعتبار انى ممنوع من العودة الى مصر وكنت ألقى على كل واحد منهم محاضرة فى الدستور وأحكامه والمصرية وحقوقها والجنسية والحكم الدخيل باسقاطها وان لوزارة صدقى باشا أن تحاول تطبيق هذا الحكم اذا بلغ منها التعنت مبلغه ، لكنها لا تستطيع منعى ما دمت مصريا من العودة الى مصر ، وكنت أحس فى نهاية المحاضرة أن مستمعى لم يقتنع وانه باق عند اعتقاده الاول .

وحدث انى حللت بلندن للاقامة فيها اقامة مستمرة وان طلب الى بعض أعضاء مجلس ادارة النادى المصرى أن ألقى عليهم محاضرة فاعتذرت ولفت أنظارهم الى ماقد يجر عليهم القائى المحاضرة من مشاكل ، فألحوا وحددوا الموضوع والموعد وبعثوا بالدعوات للاعضاء ولم تكد احدى تلك الدعوات تصل الى القائم بأعمال المفوضية المصرية هناك - وكان الوزير المفوض يمضى اجازته - حتى ارتعدت الفرائص وخارت العزائم وارتبكت الامور وتقدم الرجال الرسميون الى شباب الطلاب يتوسلون اليهم - ويهددون اذا لم يجد التوسل كى يحولوا دون الكارثة العظمى كارثة القاء عزمى محاضرة فى النادى المصرى بلندن

وتقدم الى الاخوان على مضض يخبروننى الخبر ويبلغوننى رفضهم الاذعان لما طلب اليهم «الرسميون» الوجلون وتصميمهم على أن تلقى المحاضرة مهما تكن النتائج لكنى أعفيتهم من هذه النتائج وأخذت على عاتقى أن أضع الامر فى موضعه الصحيح أى موضع الخلاف بينى

وبين رجال مصر الرسميين هناك فظهروا مظهرا لا يغبطون عليه وقد أبدوا من خوف وتولاهم ماتولاهم من « رعشة » وباتوا واقعين هم الاخرين تحت تأثير اشاعة انى ممنوع من العودة الى مصر على الرغم من خلو أوراقهم الرسمية جميعها مما يؤيد هذه الاشاعة

مفاجأة

وقام فى جزيرة العرب شبح الحرب بين ابن السعود والامام يحى وتفاهمت وجريدة « ديلى اكسبريس » على أن أكون مراسلا لها من «ميادين القتال» وتم التفاهم وأخذ القرار فى بضعه أيام وكان على أن أصل الى مكة على عجل فآثرت السفر من لندن بالطيارة ووصلت الى الاسكندرية وجمعت قبل وصولنا جوازات سفر الركاب جميعا وقصد بها الى البر وعاد بها أحد ضباط الطائرة دون أن يبدوا عليه أن فيما بين يديه من جوازات جوازا هو محل معاملة خاصة ، ووصلنا الى القاهرة ونزلت بنا الطائرة عند قصر النيل وطلعنا الى البر فتقدم منى ضابط الطائرة وسلمنى جواز سفرى وهو يودعنى بكل احترام

لكن الاخوان يصرون

وكان وجودى الفعلى فى مصر ومرورى حين دخلت اليها ببوليس الميناء وفى الاسكندريه والتأشير منه على جواز سفرى كان ذلك كله كافيا لان يقدم الدليل على سخافه تلك الاشاعة وبطلانها ، لكن الاخوان والاصدقاء أصروا على أن يظلوا مستمسكين بصحة الاشاعة فكانوا كلما قابلنى واحد منهم بادرنى بقوله « كيف جئت الى مصر» ؟ وكنت أنا أتقدم بعض من لا يقوى على السؤال لكن تنطق به أساريره ، كنت أتقدم بتكذيب الاشاعة وسخافة موضوعها لكنهم جميعا كانوا يتركوننى مقتنعا انهم غير مقتنعين

فعل الدكتاتورية

وهكذا كان فعل الدكتاتورية فى النفوس فعلا خبيثا يصور للناس الاوهام حقائق والسخف أمرا معقولا

مرتب الخديوى

نشرت الصحف فى يونيةسنة ١٩٣٥ ضمن برقياتها الخاصة التى وصلت اليها من جنيف انسمو الخديو السابق قد زار دولة زيور باشا الممثل الآن لمصر هناك فى مكتب العمل الدولى .

ثم جاء « المصور » بعد ذلك يلقى على ذلك النبأ البرقى شيئا من الضوء فقال ان المقابلةمتعلقة بالمرتب الذى يتقاضاه صاحب السمو من الحكومةالمصرية اذ تعتزم انقاصه واذ يعترض سموه ويسند اعتراضهالى ان الاتفاق الذى تم بينهما فى ١٩٣١ « قد سجل فى عصبةالامم على اعتبار كون سموه من رعايا الدولة التركية » .

وقد وجدت فى نشر مانشره المصور مناسبة للكلام على الاتفاق الذى تم بين سموالخديوالسابق والحكومة المصرية والذى لاتزالظروفه الحقيقيةوملابساتهمطوية لم تنشر بعد .

كنت فى لندن فى اوائل شهر ابريل سنة ٩٣١ اعد مع محامى صاحب السمومستندات الدعوى التى يطالب بها سموه التاج البريتانىبمليونين من الجنيهات تعويضا لما لحق بسموه من اضرار من جراءتصفية املاكه فى مصر بالطريقة التىصفتها بها السلطة العسكريةالبريتانية وفى انجلترا يجب ان تستصدر أذنا بالخصومة قبلكل شىء اذا أردت مقاضاة التاج او الحكومة البريتانية .

وكانت المحكمة قد رفضتالاذن الذى كان قد أعد عريضته احد مشاهير المحامين الانجليز. ولما كانت القوانين الانجليزية

تبيح الاستئناف فى هذه الحالة امام (المجلس الخاص) فقد رغب سموه فى الاستئناف . وتصادف فى الفترة التى تلت صدور الحكم الابتدائى وسبقت تقديم الاستئناف ان جرى تعديل فى الوزارة البريتانية كان من شأنه ان عين ذلك المحامى الكبير الذى كان قد أعد عريضة الدعوى الاولى « مدعيا عموميا » والمدعى العام عضو فى الوزارة البريتانية — وهو بحكم منصبه الذى يرأس هيئة استئناف مثل تلك الاحكام الصادرة فى طلبات الاذن بخصومة التاج فكان ان تقدمت هيئة الوكلاء القضائيين عن سمو الخديو السابق بنفس عريضة الدعوى الابتدائية على اعتبارها عريضة استئناف ، وكان اذن ان ينظر « المدعى العام » فى عريضته التى كان قد أعدها محاميا . وكان ان قبل الاستئناف وأذن لصاحب السمو بالخصومة وكان بطبيعة الحال ان اعتبرنا فى لندن هذه النتيجة فوزا وتغلبا على صعوبة جوهرية .

وعدت الى باريس حاملا ذلك الفوز مفاخرا به فقيل لى ان صاحب السمو تحدث من جنيف تليفونيا وسأل عن موعد عودتى من لندن وأعلن انه سيتحدث الى فى المساء . وفى المساء تحدث سموه وطلب الى ان ألحق به فى « ديفون » على عجل اذ لدى سموه اعمال هامة تستدعى وجودى ووعدت بالسفر فى اليوم التالى على ان اكون « بجنيف فديفون فى المساء » وأكد سموه بقوله « دون نسيان » أو « دون اهمال » ورحت اسائل نفسى عن ذلك العمل الهام الذى يستدعى هذا التأكيد بهذه العبارة والمفروض بطبيعة الحال ان ألبى الطلب وان ألبيه على عجل وان أصدق فى وعدى لسموه . لكن لم ألبث ان تركت تعرف الامر الى غد وأقبلت أتلو على زوجى قطعة « كليوباترا » التمثيلية لشوقى ، واعجبت زوجى ببيت من أبياتها راحت تكرره لتحفظه عن ظهر قلب وكان هو البيت الذى تقول فيه « كليوباترا » وقد تركت الافعى المسمومة تلدغها :

فرمت الموت لم أجبن ولكن لعـل جلاله يحمى جلالى

وفى منتصف الساعة العاشرة من مساء الغد السابع عشر من شهر ابريل سنة ١٩٣١ تشرفت بالمثول بين يدى صاحب السمو بفندق « ديفون » وكان سموه قد تناول العشاء ولم اكن قـد تناولته فتفضل وجالسنى الى المائدة مسائلا عن « دعوى الاذن بالخصـومة » وعن حالة بحـر المـانش حـين عبرته وعن اثر الطريق بين « جنيف وديفون » فى نفسى وكنت اجتازه لاول مرة وعما الى ذلك من شئون . ثـم انتقلنا الى ركن من اركان بهـو الفندق ، وهناك اخبرنى صاحب السمو بعد مقدمة خاصة بالامة المصرية وبالسبع عشرة سنة التى انقضت على خروجه مـن مصر ولسمو الوالدة وبالامـير عبـد المنعم ـ وكنت لا اتبين خـلال هذه المقدمة الغرض الذى يرمى اليه سموه منها ـ اخبرنى صاحب السمو بعد تلك المقدمة بان مسعى قد بذل فى سـبيل التفاهم بين سموه والحكومة المصرية ، وان مجلس الوزراء المصرى قد انتدب اثنين لمفاوضة سموه فى صيغة اعلان وصيغة اتفاق ، وان هذين المنـدوبين ، همـا انيس باشـا ومسيو بنسى وقد وصلا منـذ يومين ومقيمان فى « لوزان » وفى انتظار التشرف بمقابلة سـموه وان سموه استدعانى ليعـرض على مشروع الاعـلان ومشروع الاتفاق لابدى عليهمـا ملاحظاتى قبل ان تبدأ بشأنهما المفاوضات ودفع الى سموه بمظروف اصفر كبير من مظاريف الحكومة المصرية كانت المستندات المذكورة داخله وكانت تلك هى المرة الاولى التى يتصل فيها بعلمى شىء عن تفاهم بين سموه والحكومة المصرية وعن مسعى بشأن هذا التفاهم . تناولت المظـروف واطلعت عـلى ماكان بداخله من مستندات وأنا يتولانى ما يتـولانى من احسـاس بل احساسات وابديت فى الحـال ملاحظـة عامة لم تكن لتـروق قسوتها صاحب السـمو فربت على وقال « انك متعب من السفر فاصعد الى عرفتك ونم ولنتحدث فى الامر غدا ! . »

وفى الصباح الباكر نزلت الى البهو فوجدت سموه يبادرنى بقوله « لا تحسب ابتسامى دليل غبطة » وانما قد تعلمت فى مدرسة « كرومر » كيف ابتسم للحادثات !! »

وبدات ادلى لسموه بملاحظاتى وكانت تسعا بينها ان حرمان سموه من حق التقاضى فى مصر يفقد الاتفاق الضمان الطبيعى لكل تعاقد وحق الالتجاء الى القضاء واذا ما خالف احد المتعاقدين شروط الاتفاق . واذن فلا سبيل لسموه على الحكومة المصرية اذا ما فكرت يوما فى انقاص المرتب او الغائه . وما دام سموه سيعترف بقوانين البلاد فانه سيصبح بحكم قانون الجنسية « مصريا » واذن فلن يجوز الالتجاء الى اجراء من الاجراءات التى تتخذ قبل محكمة « لاهاى » مثلا .

واراد صاحب السمو ان أمثل سموه فى المفاوضة لكنى اعتذرت لاننى لمحت أن سموه معتزم الانتهاء الى التوقيع دون كبير عناء ، وانما لمحت ذلك عن طريق رد سموه على اعتراضى على بعض النصوص بقوله « ولكن ورود هذا النص فى نظر الحكومة المصرية شرط لا بد منه » على انى حاولت ان اتغلب على هذه الصعوبة عن طريق آخر هو طريق ادخال انجلترا فى ضمان تنفيذ الاتفاق او العلم به علما رسميا وكان الاتفاق يقضى على صاحب السمو بشطب الدعوى المرفوعة منه على الحكومة الانجليزية فذهب تفكيرنا الى النص فى الصيغة التى يتقدم وكلاء سموه ووكلاء وزارة الخارجية البريطانية على الاتفاق وعلى ان هذا الشطب انما هو مقابل ما جاء فى هذا الاتفاق من تفاهم على دفع مبلغ الثلاثين الفا من الجنيهات . لكن قلم قضايا وزارة الخارجية البريتانية لم يقبل النص على هذا المقابل مشيرا بوضوح الى انه مرتبط بالحكومه المصريـة دون سواها وكل ما استطعنا الوصول اليه انما هو النص على ان « ظروف الشطب وشروطه واردة — هى وامور اخرى — فى ميثاق موقع عليه بمدينة لوزان فى الثانى عشر من شهر مايو سنة ١٩٣١ ، لكن حدث بعد هذا ان قصد سمو

الخديوى السابق الى سوريا وفلسطين وان صحبته فيهما اشاعة الاتجاه الى تتويج سموه ملكا على الشام فلما عاد سموه من رحلته الى «جنيف» وكان مؤتمر انقاص السلاح منعقدا فيها ـ تقدم الى سموه حضرة صاحب المعالى محمود فخرى باشا وزير مصر المفوض فى باريس ومندوبها فى المؤتمر ولاحظ ان رحلة سموه تصحبها تلك الاشاعة انما تعتبر مخالفة صريحة لتعهد سموه بعدم الاشتغال بالسياسة بتاتا فرد سموه على فخرى باشا بانه لا يذكر ان هناك تعهدا بهذا المعنى وان سموه على اى حال سيدرس المسألة ويكلف بعض فقهاء القانون الدولى بدرسها أيضا ووقع اختياره على الاستاذ « جيدل » الاستاذ بكلية الحقوق بباريس واحد مستشارى وزارة الخارجية الفرنسية كما وقع على سر «ويليم جديث» المحامى الانجليزى المشهور الذى كان قد أعد عريضة الدعوى الاولى على الحكومة البريطانية ثم اصبح مدعيا عاما ثم عاد الى المحاماه بعد أن سقطت وزارة العمال .

وقصدت الى باريس احمل لفخرى باشا فتوى الاستاذين الكبيرين وهما مجمعان على انه ليس فى الاتفاق ما يمنع سمو الخديو السابق من الاشتغال بالشئون السياسية الا ما تعلق منها بالسياسة المصرية وجرى فى تلك الجلسة الطريفة التى خلوت فيها بصاحب المعالى وزير مصر المفوض بباريس حديث طريف ، ذلك بان معالى فخرى باشا وقد رأى احكام التدليلين الفرنسى والانجليزى لم يسعه الا أن يقول « ولكن الاشتغال بشئون الشام السياسية اشتغال بالسياسة المصرية » فلما سألته ايضاحا لهذا « اللغز » الذى لم استطع فهمه اجاب . « نعم ان سوريا منطقة نفوذ مصرى !» . فأستزدت معاليه ايضاحا والدهشة تعلو اسارير وجهى فقال وزير مصر المفوض بباريس « نعم ان « الاهرام والمقطم » وهما اكبر جريدتين فى مصر يملكهما « شوام » والجرائد كلها تقرأ بانتظام فى الشام و « خليل

مطران » يسمى شاعر «القطرين» وظننت فخرى باشا يمزح لكنه أكد لى انه جاد فيما يدلى به من تدليل .

وأبلغت الفتاوى للحكومة المصرية وحاول صدقى باشا ان يظفر من سمو الخديوى السابق بوثيقة جديدة يتعهد فيها بعدم الاشتغال بالمسائل السياسية اوبمسائل عروش دون الاستئناس السابق برأى الحكومة المصرية لكن دولته فشل فيما حاوله وباء رسوله بمذكرة من خط الرسول نفسه فيها « تبكيت وعتاب ! ! » لكن حدث بعد هذا ان طبق على مرتب حضرة صاحب السمو الخديوى السابق مبدأ الدمغة والعشرة فى المائة التى تحجز من مرتبات الموظفين فنقصت الالفان والخمسمائة جنيه الشهرية مائتين وخمسين على التمام .

قد تم هذا التصرف على التفكير فى تدعيم الاتفاق ووصل التفكير باصحابه الى تسجيله فى عصبة الامم . ودارت مفاوضات مع سكرتيرية العصبة وكان سير « اريك دراموند » هو السكرتير العام فى ذلك الحين وانتهى الامر الى قبول الاتفاق وتسجيله « من باب الاحاطة » وهذا التسجيل طبعا هو الذى يشير اليه « المصور » لكنه تسجيل لا علاقة له البتة بتركيا ورعوية سمو الخديو السابق لانه تم بعد الاتفاق وقد اعترف سموه بمجرد التوقيع على الاتفاق بقانون الجنسية المصرية وهو يقضى بان اعضاء الاسرة المالكة مصريون ولا يجوز تغيير جنسيتهم المصرية بحال .

الدعوه للدين على الطراز الحديث

احتفاء الازهر

كان حادث الاسبوع الاول من يوليو سنة ١٩٣٥ هو بلا ريب حادث احتفاء الازهر بشيخه الاكبر لا من حيث الاحتفاء فى ذاته فهو شنشنة نعرفها من المصريين جميعا بل من حيث المظاهر التى تجلت خلاله وقد كانت فى مجموعها مظاهر خروج عن مألوف التقليد العتيق الى اخذ باساليب الحياة الاجتماعية عند سائر المتدينين من الناس وكان من شأن الخروج على مألوف التقليد العتيق كما كان من شأن اقوال بعض الخطباء عن الازهر والازهريين واصلاح المعهد وتطور رجاله كان من شأن ذلك كله ان يثير عندى بعض الذكريات المتصلة بمثل ما صدر عن الازهريين فى مثل ذلك اليوم . وبمثل ما يتجلى بعض الاحايين من المواقف ازاء اصلاح الازهر والمطالبة به وهذا البعض من الذكريات هو الذى اود ان اتقدم به .

كاتبة انجليزية

يوما من ايام لا ادرى الان على التحقيق اى شهر من اشهر سنة ١٩٣٣ ، تسامت من مستر « هندل » رئيس تحرير مجلة المجلات الانجليزية كتاب توصية يقدم به آنسة تساهم فى تحرير مجلته وتعرض ان تساهم فى تحرير مجلة العالم العربى التى كنت اصدرها حينذاك بلندن على ان تكون مساهمتها عن طريق تلخيص الكتب التى ترد الى من الناشرين للتعليق عليها والتى

تتصل مواضيع بحثها بطبيعة الحال ببلاد الشرق والاسلام والعربيه واتصلت بمس « بيجى ويليمز » ودفعت اليها بكتاب القاضى « ينتوتيش عن فلسطين وبكتاب آخر عن « جوردون » والسودان فأسرعت بقراءتها واجادت تلخيصهما واحسنت المعاونة فى سبيل التعليق عليهما بما يتفق ووجهات نظر « العالم العربى »

ثورة اتحاد اكسفورد

وكانت جامعة اكسفورد فى ذلك الحين مشخص ابصار اهل الراى من الانجليز فقد كان اتحادها ثائرا على تقاليدها وتقاليد المملكة البريطانية كلها وكان يدعو اعضاءه جميعا الى ان يقرروا عدم الرضوخ لقسم البذل والتضحية بالحرب فى سبيل الملك والوطن لانه يمقت الحرب ولا يراها وسيلة خير اصلا وكانت الصحف الانجليزية تعنى بتلك الظاهرة عناية عظيمة وكان بعضها يذهب الى حد ان يرى فيها تهجما من المبادىء الاشتراكية بل الشيوعية على حصن من حصون « المحافظة » بل ركن من ركنية الثقافة التقليدية فى انجلترا وكان العمليون من اهل الراى يستودعون الله تلك الجامعة التى يكونها وينادون بتوجيه الهمة كل الهمة فى سبيل احاطة أختها جامعة «كمبردج» بسياج يقيها شر مثل التطور الذى قضى على «اكسفورد» بالرضوخ له وكانت كلمة اتحاد « اكسفورد » تجرى على السنة كل متعلم وكل نابه وتشغل بال كل من يعين مستواهم العقلى على تفهم مثل ماتنطوى عليه حركة ذلك الاتحاد وكانت الكلمتان تجريان على السنة الكثيرين من المتحدثين فى الاندية وفى القطر والسيارات العامة وان كان تحدث الانجليز لايخرج عادة عن حدود التهامس غير المسموع

دقة تليفون

وظهر يوم دق بمكتبى التليفون وكانت مس « بيجى ويليمز »

هى التى تريد ان تتحدث الى وقد بادرتنى فسألتنى هل سمعت عن جامعة « اكسفورد » فاجبت على الفور نعم فقالت وهل تريد ان تحضر لهم اجتماعا اجبت بكل سرور قالت اذن الليلة فى منتصف الساعة التاسعة بالبهو الاكبر فى فندق متربول وبملابس السهرة وسررت بهذه المفاجأة سرورا عظيما اذ تهيأت لى فرصة الاجتماع بأولئك الانجليز الثائرين والثائرين على التقاليد « وانجليزى ثائر » اعجوبة من الاعاجيب فما بالك به ثائر على التقاليد التى لايمكن ان يتصور انجليزى بغيرها وثائر على التقاليد المتصلة ببعض الشعائر السياسية المقدسة هناك واذن فقد كانت « لقيا » تلك الفرصة التى هيأها لى ظرف « مس بيجى ويليمز » وكان تصورى ماسألقاه فى اجتماع المساء محل بعض تفكيرى بعد الظهر .

جماعة اكسفورد

وفى منتصف الساعة التاسعة مساء وصلت مرتديا ملابس السهرة الى فندق متربول وهو من فنادق الطبقة الاولى فى لندن غير فنادق الترف الممتازة طبعا ووجدت مس « بيجى ويليمز » فى انتظارى ووجدت الى جانبها ثلاثة أو اربعة من الرجال قدمتنى اليهم فاحتفوا بمقدمى احتفاء وسألونى عن مصر والشرق والقاهرة والخرطوم والقدس وبغداد ثم ذهب بى اثنان منهم الى البهو الاكبر الذى تقام فيه عادة حفلات حافلة وكنت قد حضرت فيه من قبل حفلة للمولد النبوى أقامتها الجالية الشرقية فى لندن وكان خطيبها الاصلى هو الاستاذ مكرم عبيد فوجدته غص بالحاضرين الذين يجاوز عددهم الالف وافسح لى المكلفان بمرافقتى مكانا الى جانب المنصة وقدمانى الى اثنين آخرين يجيدان اللغة الفرنسية اجادة .

وجلست اتفرس الحاضرين واتعرف طبقاتهم فوجدتهم خليطا من الرجال والنساء من الشيوخ والشباب والسيدات والآنسات

يرتدون جميعا ملابس السهرة التى تقضى التقاليد الانجليزية بارتدائها فى مثل تلك الحفلات وانتظرت فى تشوق ان تبدأ الخطب او تبدأ الثورة وتعلن الاحتجاجات

مدهشات

ودخل الرؤساء والزعماء وجلسوا فوق المنصة ثم بدأت الحفلة فقام احد هؤلاء يعلن ان جماعة « اكسفورد » قد قررت أن تبقى لها فى لندن أسبوعين تنتقل اجتماعاتها خلالها بين أبهاء فنادقها الفخمة ودور العظيمات والنبلاء وان كل اجتماع ستتخلله ادلاءات بحوادث مادية وقعت لاصحابها الذين جاءوا يدلون بها خصيصا وستعقبه سهرات تقدم فيها المرطبات ويستمع فيها الى بعض الاغنيات ، عندئذ بدأت اسائل نفسى اى اكسفوردية هذه التى جئت اليها وهل هناك اتحاد لاكسفورد غير ذلك الذى تملا اخباره الاسماع ثم اخذت اترقب ما سيفوه به الخطباء ويدلى به المدلون

ادلاءات

وتوالى المتكلمون على المنصة شيوخا وقورين وسيدات جليلات وآنسات متأنقات وشبانا متحفزين واخذوا يقصون علينا « نوادرهم » فتلك آنسة غادرت امريكا وجاءت الى لندن تبحث لها عن عمل فلم تجد واحتملت الضيق ما احتملت وكادت لاتجد من المال مايوفر لها قوت يومها فخطر لها خاطر « التفكير فى المسيح » ففكرت ونامت ليلتها ثم استيقظت فاذا بها تتسلم فى البريد صكا بسبعين جنيها لاتدرى حتى ادلائها بالحادث من اين جاءت . وذلك شيخ من اصحاب المكانة السياسية الامبراطورية كان فى كندا مع صديق له حميم واذا به يتسلم برقية من بعض اصدقائه السياسيين فى جنوب افريقيا يلحون فى رجائه ويستحلفونه بكل عزيز ان يقصد اليهم على عجل حتى يوفق بين مختلف تياراتهم التى كاد اختلافها

يودى بمصلحة افريقيا الجنوبية الوطنية كلها فتردد فى الرحيل من كندا ثم استخار الله وعبر المحيط الى انجلترا ووصل الى لندن يمضى فيها ثلاثة ايام ثم يبحر بعدها الى مدينة الكاب وشاء من يشاء ان يلقى الشيخ بارحة ابحاره سيدة من العظيمات تسائله عن جماعة اكسفورد فيقول انه لايعرف عنها شيئا فتأخذه السيدة الى اكسفورد ويحضر واياها اجتماعا من اجتماعاتها ترفرف عليه « روح المسيح » ويسوده سره ثم ينصرف فى ساعة متأخرة من الليل ويطلب الى اعضاء الجماعة أن يدعوا له ويقصد الى ميناء « ساوتمبتون » يركب فيها الباخرة تمخر به اعباب المحيط والبحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر والمحيط الهندى وتصل به الى ثغر افريقيا الجنوبية فيجد فى انتظاره على افريز الميناء عديدين من رجال السياسة يحيونه ويناجونه فيذهب بهم على الفور الى احد الفنادق الكبرى ويجتمع بهم فى أحد ابهائه ولاينفض اجتماعهم الا والاخاء مستقر فى قلوبهم والمصلحة القومية منقذة مما كان يهددها من المخاطر وكل ذلك بفضل « تفكيره فى المسيح » والتماسه الى « جماعة اكسفورد » ليلة سفره ان تدعو له .

وهذا شاب من طلبة جامعة اكسفورد ـ وكان لايعنى بالتفكير الدينى عناية خاصة فظل سنة كاملة لم تصل اليه خلالها من والده غير بطاقتين اثنتين فيهما تحيتان قصيرتان ثم اخذه احد اصدقائه الى جماعة « اكسفورد » وحضر بعض اجتماعاتها فاستحالت العلاقات بينه وبين والده واصبحت تصل اليه كتب طويلة كل اسبوع يبثه فيها ابوه عواطفه ويسدى اليه خلالها نصحه وكل ذلك بفضل حضوره جماعة « اكسفورد » وتفكيره فى المسيح .

وهذا رجل ساءت علاقته الزوجية سوءا استماح الحاضرين عفوا فأخذ يسرد تفصيلاته سردا ثم كتب له ان يتعرف بجماعة

« اكسفورد » ويصبح عضوا من اعضائها فانقلبت شروره خيرا كل الخير وانقلبت شقاوته الزوجية هناء كل الهناء وذلك طبعا بفضل تفكيره في المسيح وعلى هذا المنوال من الادلاء سار الخطباء والمتكلمون ثم أعلن الرئيس ان الاجتماع المقبل سيكون في دار احدى العظيمات النبيلات واخذ الجمع الحاشد يتناثر فئات فئات ...

ماهذا الكلام

واقبل على الستة الذين تعرفت اليهم واقبلت على مس « بيجى ويليمز » واخذوا يسألونني عن الاثر الذى تركه الاجتماع في نفسى اما « مس بيجى ويليمز » فخصصتها بنظرة وابتسامة تدلان على انى اكثر تعقدا مما تتصور واما الستة رجال فقلت لهم ان الاجتماع قد كان له في نفسى اثر عميق فتهللوا وطلبوا الى مزيدا من الايضاح فقلت افهم ان جماعتكم دينية وانها دينية مسيحية وانها تسعى الى ادخال المسيحية في كل مظاهر الحياة الاجتماعية الحديثة وان تسعى لحل مشاكل الخاصة والعامة وتسود السلام في العالم كله وتنشر الطمأنينة على العلاقات كلها عن طريق المسيحية فأجابوا نعم قلت هذا جميل لكن الذى كنت افكر فيه خلال استماعى الى اقوال المتكلمين طوال الاجتماع هو أن في البشرية ارباب اديان اخرى وفيها كذلك ملحدين يريدون جميعا ماتريده جماعتكم من نشر الطمأنينة وتخليد للسلام ومن مصلحة الهناء العام والسلام الدائم ان تتضافر الجهود كلها حتى يزيد الانتاج ويقصدان تحقيق الاصلاح فكيف الوصول الى ميدان يتقابل فيه اولئك المتفقون في الغرض وان اختلفوا في الدين او العقيدة انكم تقولون ان جماعتكم مسيحية وهى بهذه الصفة انما تحصر الجهود داخل نطاق محدود وانها تحرم الفكر السامية جهودا اخرى يتوقع ببذلها متدينون آخرون وغير متدينين أيضا فما السبيل اذن الى توحيد الصفوف .



وعاد يحمل اسفارا فى جماعةاكسفورد ونشاطها وفضائلها !ه

قلت ذلك وانا اتفرس فى وجوه انسيعة المستمعين الى فعلت وجه الآنسة حمرة ولم يعل وجوه الآخرين شيء يكشف عن انجاه الاثر وقال واحد منهم الحل ان يصبح الجميع مسيحيين واراد ان يمضى فى التدليل تدليل ايمانه على فضل المسيحية فوقفته باستدراك سائلا اياه وماذا عسى ان يقول لاقناع الملحدين . قال احد زملائه فى غير تردد : الامر هين فقد كنت أنا ملحدا الى حين ، قلت وانه ليلذ لى ان استمع الى قصة ردتك الى الدين بعد الالحاد فدعانى إلى الانتحاء ناحية فذهبنا الى حيث جلسنا الى مائدة فى بهو اخر من ابهاء الفندق والى حيث نتناول قليلا من البرتقال المعصور واخذ يحدثنى عن الكهرباء وتيارها ومظاهر قوتها وعدم الوصول رغم هذه المظاهر الى تعرف ماهيتها كما اخذ يحدث عن بعض النظريات العلمية وتطورها واحس ان شيئا من حديثه الممتع لاينال من مناعتى فهرول الى المنضدة وعاد يحمل الى أسفارا وضعها الواضعون فى جماعة اكسفورد ونشاطها وفضائلها واكتفى منى بوعد قراءتها وتدبرها وحضر حديثنا زميل آخر عرف انى من مصر وسمعنى اذكر المسلمين ضمن المتدينين وغير المسيحيين الذين يرغبون رغبة اكيدة فى استقرار السلام وتمكن الخلق الطيب ولمح ان حديث صديقى المدنى لم يصل منى الى الاعماق فآثر ان يحدثنى على طريقة اخرى حسبها مجدية فقال انه استاذ باحدى مدارس طهران وان له فى مدرسته هناك تلاميذ مسلمين وآخرين مسيحيين وقد حدث له فيما حدث ان جاءه يوما تلميذ اسمه مصطفى شكا اليه مايصيبه من اغتمام وما يناله من ضيق فى حين ان صديقه التلميذ « حنا » لايشعر الا بغبطة ولا يفيض إلا بانشراح فنصحه الاستاذ أن كلما أحسست يا مصطفى ضيقا أو أصابك اغتمام فكر فى المسيح فانه منقذك ولم يمض أسبوع على هذه النصيحة حتى جاءه مصطفى منشرحا يشكره ويبلغه أنه فكر فى المسيح وأنه أصبح فى هناءة .

سألت محدثى : وكم كان عمر مصطفى ؟ فأجاب احدى عشرة سنة قلت : وما عمر من تحدثه الان ؟ قال : نيف وأربعون سنة قلت : وهل ترى ان نفس التدليل يصلح لاقناع الاثنين ؟ فسكت وأرجو أن يكون قد بهت .

تبشير على الطراز الحديث

واذن فقد كانت جماعة « اكسفورد » تلك جماعة تبشيرية لها فروع عدة فى انحاء الارض وقد رأت ان النظر الدينى والزى الدينى والتقليد الدينى قد يحول ذلك كله فى هذا العصر المدنى دون القيام بواجب التبشير وبواجب الاحتفاظ بالكيان المسيحى فراحت الجماعة تخلع عن أعضائها الرداء الرسمى وتستبدل به لباس الاجتماعات المدنية ولباس الحفلات والسهرات الذى يلبسه كافة الناس وراحوا لا يعقدون اجتماعاتهم فى الكنائس بل فى ابهاء الفنادق التى يجتمع فيها المدينون من الناس فيقدمون فيها للناس ما يقدم لهم عادة فى مثل تلك الابهاء ويتحدثون اليهم فى المواضيع التى تشغل بالهم على اعتبار انهم ناس وكفى فى العمل والتعطل عنه فى السياسة ومشاكلها فى عصبة الامم وفضائلها . وفى الكليات وحياة الدراسة فيها . فى العلاقات الاجتماعية وما يتخللها عادة من تفاهم وتنافر . ويتلمسون خلال ذلك كله مواطن الضعف فيدلون على اصلاحها عن طريق الايمان والمسيحية .

• الظهور بمظهر الناس

« الظهور بمظهر الناس » هى اذن النغمة الجديدة التى ترددها الجماعات الدينية الجديدة كى تستطيع ان تنفذ الى اعماق الناس تبث فيهم دعايتها وتدخل الى نفوسهم تعاليمها دون ان تدعهم يستوحشونها ويستوحشون رجالها فتنساب فيهم انسيابا طبيعيا لا يقف فى طريقها احساس بتباين يستند الى مظهر من مظاهر الزى الخاص أو المكان الخاص أو اسلوب التحدث الخاص ذلك بان اهل تلك الطريقة قد فقهوا ان ذلك التخصص كله اذا كان مستساغا وسيلة للتمييز فى عصر من العصور فان روح العصر الحاضر تنافيه منافاة وتتجافاه تجافيا وهذا هو الذى تبينته خلال ذلك

الاجتماع الفذ الذى حضرته عن سوء فهم اذ خلطت بين جماعة «اكسفورد» واتحاد «اكسفورد» وهذا هو الذى تبادلت الرأى عليه مع مس « بيجى ويليمز » وان اصحبها حتى دارها بعد انتهاء حديثى مع من ارادت عمدا وبسبق اصرار ان يتحدثوا الى متلمسه هدايتى عن طريقهم الى المسيحية فلم تفز بما تلمسته وباءت بتهديدى اياها فى مداعبة طبعا بانى انا الذى سأفوز اخر الامر بثواب هدايتها الى الاسلام او احتمل وزر تشكيكها .

ولنعد الى الازهر

ولنعد الان الى اجتماع الازهر واحتفائه بشيخه الاكبر الذى كان من شأنه ان يثير فى ما اثار من ذكريات . لقد كان ذلك الاجتماع هو الاول من نوعه فى نظرى وعند حد علمى فقد كانت الاجتماعات الازهرية تعقد عادة فى الجامع الازهر وبالقرب من محرابه يجلس المجتمعون فيها جلسة المصلين ويتناوب الخطباء منهم القاء خطبهم من أعلى المنبر وكانت تلك الاجتماعات من جراء ذلك الطابع الدينى الخاص لا يشترك فيها غير رجال الدين ورجال الازهر فليس ميسورا لغيرهم ان يقصدوا الى حيهم وليس يسيرا عليهم اذا هم استطاعوا الوصول الى الحى اللاتينى القاهرى ان يخلعوا نعالهم لغير واجب الصلاة وان يقعدوا القرفصاء ثلاث ساعات يستمعون الى خطب وقصائد وليس يسيرا عليهم أن يحرجوا انفسهم ذلك الاحراج ويحبسوها ذلك الحبس فى فترة من فترات النهار التى اعتادوا ان يجتمعوا فيها الى اصدقاء او اخوان يتقاربون واياهم فهما ليتبادلوا الحديث هادئا ويتناولوا المرطبات شهية ولذلك فقد رحبنا بذلك المظهر الجديد الذى ظهر به الازهر فى ذلك اليوم والذى نرجو ان يكون له تقليدا يسير عليه فى الاجتماعات المقبلة فيجعلها دائما ميسرة ويصبغها بالصبغة المدنية يتذوقها الناس كافة فلا يرون فيها كلفة ولا امتيازا ولا ظهورا بمظهر عسر أو شذوذ أو تعاظم لاسيما انهم يعلمون جميعا أن دينهم (دين) يسر لا دين عسر وانه دين ديمقراطية ومساواة

واخاء وانه دين كافة لا دين خاصة وانه الدين الذى يتميز عن سائر الاديان بانعدام الوساطة بين العبد والرب وان رجاله انما هم مرشدون ومعلمون ليس غير وان خالفنا فى هذا التقدير فضيلة رئيس لجنة الاحتفال الذى ابى الا ان يعيد على الاسماع نغمة دخيله على الاسلام ونظامه وهى نغمة الرياسة الدينية العليا يريد ان يسندها لمشيخة الازهر وما مشيخة لازهر وهيئة كبار العلماء الا مجلس ادارة الجامعة الازهرية التعليمية يرأسها الشيخ الاكبر كما يرأس مجلس ادارة الجامعة المصرية أستاذها الاعظم

فى سبيل التحرير

دخولا اذن فى سبيل التجديد واخذا بأساليب الاجتماع الحديثة وظهور بمظهر الناس كافة ذلك هو الذى نحبه فى الازهر وانه هو الذى نضمن له عن طريق الامتزاج بالجماعة كما يفعل حملة لواء الدين فى غير مصر هذه الايام وتضييق مسافة الخلف بين عقليته وعقليتها واذن فالفوز بمعاونة قادة الرأى فيها فى سبيل نشر الفضيلة الكبرى

المفتى والامام

وكان صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد سليم المفتى الى يمين الاستاذ الاكبر الشيخ المراغى وكنت انظر اليهما واتفرس تأملاتهما طوال الاجتماع وكانت تحضرنى فى تلك الاثناء ذكرى قصة سمعتها من حضرة صاحب السمو الخديو السابق عن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده وموقف القصر والعلماء من مشروعات اصلاحات ؛ سمعت لخديو السابق يقول: كان الشيخ عبده يتقدم الى بمشروعاته الخاصة بالازهر والقضاء الشرعى فكنت اطلب اليه ان يعود لعرضها على بعد يومين أو ثلاثة ايام وكنت ابعث الى ستة أو ثمانية من العلماء اجمعهم حولى واقول لهم غدا أو بعد غد سيحضر الشيخ عبده ليعرض على مشروعاته وها أنا ادفع بها اليكم الآن لتدرسوها وتحفظوا ملاحظاتكم عليها وسأجمعكم به غدا أو بعد غد وسأرى من الذى سيغلب هو أو أنتم ثم كانوا يحضرون عرض الشيخ عبده

لمشروعاته ، فأقول ما رأيكم يامشايخ فينبرى له المشايخ يعارضونه ويناقشونه وكان امعنهم فى المعارضة والمناقشة الشيخ بخيت وكان من وجوه امعانه وضروب استفزازه ألا يخاطب الشيخ عبده الا بقوله لا لا ياشيخ محمد مش كدة ياشيخ محمد ظنا منه ان التوجه بياشيخ محمد تنال من شخصية الشيخ عبده واعتزازه بنفسه سمعت هذا وذكرته وانا اتأمل الشيخين الكبيرين وذكرته والاستاذ الاكبر يشير فى خطابه الى الاستاذ الامام واصلاحاته فى الازهر وفى القضاء الشرعى وذكرت جانبا مما يعانيه المصلحون من اقرب الناس اليهم واكثرهم افادة من اصلاحهم وكل ذلك مدعاة للتأمل ، أليس كذلك ؟

فى حضرة ابن السعود

فى الثالث عشر من شهر مايو لسنة ١٩٣٤ وصلت الى « جده » فى طريقى الى ميدان القتال « السعودى اليمنى » او الى ميدان « الصلح الحربى موفدا من قبل جريدة » ديلى اكسبريس وكان رئيس تحرير قسمها الخارجى قد اخبرنى قبل مغادرتى لندن انه سيسندما سأبعث به من انباء الى مراسل الجريدة « الحربى » فاستدركت قائلا او مراسلها « السلمى » فقد تكون الحرب وقفت رحاها عند وصولى وتكون مفاوضات الصلح قد بدأت بين العاهلين العربيين

وقد كان بالفعل ما كنت ارجونى ان يكون .

فما ان انتقلت من الباخرة « الطائف » وهى احدى بواخر الشركة الخديوية الى الشاطئ مع زميلى المعروف فى القاهرة مسيو « جاستون برتى » مراسل جريدة « الجورنال » الباريسية واوصلته الى القنصلية الفرنسية العامة ووصلت انا الى القنصلية المصرية حتى اتصلت تليفونيا بصديقى فؤاد حمزه بك وكيل الخارجية السعودية وسألته اخبار الحرب وطريقة وصولى الى ميدانها فاجأنى مفاجأة سارة اذ اعلن ان الحرب قد وقفت رحاها وانه كان ضحى اليوم ذاته بجده يوقع فيها مع مندوبى الامام يحى على شروط الهدنة وبدء المفاوضة فى سبيل الصلح ومعاهدة .

فى مكة

وتفاهمت وفؤاد بك على ان اقصد الى « الطائف » حيث

يصطاف الملك وتصطاف حكومته وحيث يقيم الوفد اليمنى وحيث ينزل وفد المؤتمر الاسلامى المجاهد فى سبيل اقرار السلام فى شبه الجزيرة وتوطيد دعائم الصلح بين العاهلين العربيين .

وعصر اليوم التالى قصدت الى مكة فى سيارة تفضلت الحكومة السعودية العربية « بوضعها تحت تصرفى » وبعد ان اديت بارشاد صديقى التقى الورع قنصل مصر ذلك الحين — شعائر الاستعداد للقيام بفريضتى العمرة والسعى ووصلت الى عاصمة الاسلام الكبرى بعد الغروب وقبل العشاء واعتمرت وسعيت . ثم ارتديت بعد حمام فى التكية المصرية — الملابس العربية — الفضفاضة الرجراجة — وبت الليل فى فندق الحكومة ضيفا عليها ثم زرت فى الضحى ادارة جريدتى « ام القرى » و « صوت الحجاز » وتعرفت الى المشرفين على تحريرهما .

فى الطائف

وبين الساعة الثامنة ومنتصف الساعة العاشرة — ساعات عربية — من النهار تحركت بى السيارة من جديد قاصدة بى الى « الطائف » وانما قلت بين الثامنة والعاشرة لاننى تفاهمت مع السائق على ان نغادر مكة فى تمام الثامنة لكنه لم يحضر الى الفندق بسيارته الاحين انتصفت الساعة العاشرة وقطعنا المسافة بين مكة والطائف فى خمس ساعات جاورنا فى جزء منها الجبال الصلدة الجرداء مجاورة فكان « الصهد » يصدر عنها الهيبا ويصل الى الوجه فيصلى بشرته سعيرا ويدلنى على فضل « الكوفية » وتمام اتفاقها مع طبيعة ذلك الجو المحرق اذ كنت اسحب جانبيها على وجهى فتقيه شر اللهيب الصادر من جمر الجبال حقا .

ومررنا فى الطريق بعد الغروب بمكان قال لى السائق انه مأهول بالقردة والذئاب واصاب سيارتنا فيه عطل فوقفنا قليلا

حتى نصلحه فشاهدت اثناء وقوفنا على مقربة منا بعض القردة من ناحية وبعض الذئاب من ناحية أخرى فعلا

واخيرا وصلنا الى « الطائف » بعد العشاء ودخلناها من احد ابوابها الثلاثة او الاربعة وكان ينتظرنا فى المخفر عنده من كان مكلفا بأن يدلنا على الطريق الى المنزل الذى تقرر أن أنزل فيه .

اين نزلت هنـــاك

وكان هو منزل رئيس بلدية الطائف « سابقا » اى عند مادخلها الوهابيون واعمل فيها « الاخوان » ما عملوا واعد لى فى هذا المنزل « جناح » على حد التعبير الحديث هو « ديوان الاستقبال وملحقات » « الترويح الطبيعى » والديوان فناء مستطيل يزيد طوله على العشرة امتار ويبلغ عرضه السبعة غطى ثلثاه وظل ثلثه مكشوفا الى السماء وفرش الثلثان بالبسط ومدت حوالى حوائطهما الارائك وغطيت « أرضـــية » الثلث المكشوف بالرخام وتوسطته نافورة تحيط بها اشجار ليمون وفى احد اركانه مكان للوضوء .

وحينما وصلت الى المنزل استقبلنى الى بابه صاحبه وولده وخادمه وتقدمنا الولد وتبعنا الخادم يحمل كلاهما مصباحا مضاء بالزيت المضغوط وحللنا بالديوان فوجدناه مضاء كذلك بمصباح زيتى من الطراز عينه كما وجدنا « سريرا » قد نصب فى احد أركانه .

وتبادلنا تحيات القدوم والترحيب . ثم مدت المائدة ووصل « الشيخ عبد السلام » محييا باسم وكيل الخارجية وحاملا تحية « وفد المؤتمر الاسلامى » ومحددا موعدا للتشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك ابن السعود فى الغداة .

الشيخ عبد السلام

والشيخ عبد السلام شخصية من الشخصيات البارزة فى المملكة العربية السعودية وهو مصرى من قرية من قرى مركز بلبيس

قصد الى الحجاز ايام كان الشيخ حافظ وهبه يشرف على شئون التعليم فيها وعمل فى التدريس ثم عين « مديرا لادارة الضيافة » واحسبه قائما بمهمته خير قيام فلديه من الظرف والكياسة ما يمكنه من اكتساب قلوب من يعرفونه من « الاغراب » وما يمكنه كذلك من تذليل ما قد يقوم من صعب ومحو ما قد يكون لنعرف ما من اثر غير مستحب.

فى القصر الملكى

وقبيل غروب اليوم التالى مساء وصولى الى الطائف قصدت بى السيارة الى قصر « شبرا » للتشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود والقصر على مسافة بضعة كيلو مترات من « الطائف » وكان يصحبنى اليه « الشيخ عبد السلام »

استقبلنا عند مدخله احد رجال « التشريفات » وتقدمنا الى الطابق العلوى فاستقبلنا فى البهو رائحة زكية هى رائحة « بخور » صحبتنا طوال طريقنا الى القلعة الملكية الكبرى وقد ادخلنى فيها « الشيخ يوسف » وهو كبير امناء صاحب الجلالة وأحد مستشارية النافذتين

والقلعة مستطيلة فسيحة يبلغ طولها نحو اثنى عشر مترا ويقرب عرضها من الثمانية وقدمدت الى حوائطها الارائك ولها « خارجة » على مثال ماكان فى بيوت القاهرة منذ سنوات . وقد احتلت هذه « الخارجة » أريكة صفت عليها المساند مغطاة بقماش فيه خضرة واليها آلة تليفونية وزرار كهربائية وفى وسط سقف الغرفة والى حوافه ثريات كهربائية كذلك وارضيتها مغطاة بطنافس عجمية نفيسة .

ابن السعود

وبعد لحظات اقبل ابن السعود يتبعه اثنان من الحجاب وكان قد قيل ان تقاليد التحية « التقبيل » وللمقبل الخيار بين يدى الملك

وانفه فاخترت انا تقبيل اليــــد وتقدمت للقائه حين دخل غرفته الكبرى وصافحتـــه وقبلت يده وقصد الى الخارجة وجلس على اريكتها ودعانى الى الجلوس على مقربة منه ففعلت واخذ جلالتــه يتحدث ولم يحضر الحــديث فى اوله غير « الشيخ يوسف يس » ثم حضر اثناءه شقيق الملك وبعض المقربين كما حضره دون ســابق اعلان الحاج « عبد اللى فلبى » المعروف .

وما آفة الاخبـار

وبعد تبادل التحية وتقــدمى الى جلالته بالتهنئة على وقف رحى الحرب والبدء فى مفاوضات الصلح بدا حديثه بقوله « وما آفة الاخبار الا رواتها » واخذ يشرح موقفه من الامام يحى وما بذله لديه من المساعى وما يرغب فيه رغبـــة صادقة من اقرار الســلام بينه وبين اليمن ويذكر العالم الاسلامى اهتمامه بالجزيرة العــربية وان جاء هذا الاهتمام متأخرا اذ كانت المناوشات قد وقعت بين الفريقين بالفعــل .

ابن الســعود ومصر

وعرج ابن السعود على مصر واهلها وذكرهم بالخير ورجا ان يزول ما يعكر علاقاتهم الرسمية من كدورة وقال انه لا يرغب الا فى أن يكون مع المصريين وحكامهم على اتم وئام واحسن تفاهم .

أنا ملك العــرب

ومما استرعى ســمعى بين عبارته قوله « اننى لست ملــكا بمشيئة اجنبية بل أنا ملك بمشيئة الله وبمشيئة العـــرب الذين اختارونى وبايعونى على نعوت واسماء ليس غير فانا عبد العزيز قال العرب انى ملك فرضـيت قولهم شاكرا لهم ثقتهم وحسن ظنهم وفى اليوم الذى يتخلى عنى العرب ولا يريدوننى زعيما لهم فانى عود الى الصـــف واحارب معهم بسيفى كاصغر واحد فيهم دون ان ينـــال نفسى شىء من لغضاضة . .

« وانا بينهم الان لاقيم حــكم القرآن والسنة واحكم بالعــدل والقسطاس المبين »



واخترت تقبيل اليد فصافحته وقبلت يده

يجب ان يبقى شبابنا مسلمين

وتحدث عن ذهاب الشبان الى اوروبا وتلقى العلوم فى جامعاتها فقال « انى اريد ان يحصل ابناءنا الحلم المادى فى اوروبا فيدرسوا الهندسة والطيران وفنون المدافع وما اليها لكنى اريد ان يظل اولادنا متمسكين باهداب عروبتهم وباهداب اسلامهم اذ لاحياة لنا الا بهما »

قهوة وليمون وبخور

وقدمت الينا القهوة اكثر من مرة ثم ضغط بن السعود على زر من الازرار الكهربائية المجاورة له فجاء اليه حاجب أسر اليه الملك بما لم نسمعه ولم تمض لحظات حتى عاد الحاجب يحمل « صينية » عليها اكواب من « الليمون المعصور المحلى » يتوسطها كوب ضخم ممتاز وتقدم الحاجب من ابن السعود فتناول الكوب الضخم لنفسه ثم مرت بنا الاكواب العادية الاخرى فتناولناها .

ثم دخل حاجب يحمل بخورا ومر به على الحاضرين فتعبقوا به وكان هذا الاجراء وما اليه من تقديم القهوة ايذانا بانتهاء الجلسة فاستأذنت فى الانصراف

كانت ستقوم فتنة

وحدثنى فى اليوم التالى لتشرفى بمقابلة جلالة الملك ابن السعود من تحدث من رجال الحكم السعودى فقال ان زيارتى للقصر الملكى كانت ستثير فتنة ذلك ان بعض « الاخوان » من النجديين كانوا محاصرين رجالهم حول القصر وقباله فلما وصلت اليه فى السيارة واستقبلنى من استقبل من رجال البلاط ولم تكن سحنتى من السحن المعروفة سأل سائل من هذا الضيف فقيل له «محمود عزمى من مصر .» وانتقل نبأ السؤال والجواب الى مضارب « الاخوان » قبال القصر وكان هؤلاء (الاخوان) هم بذاتهم الذين التحموا مع الجنود المصريين الذين رافقوا المحمل فى المرة الاخيرة فى تلك السنة التى يسمونها الان فى الحجاز وفى نجد «سنة الرمى» وكان امير الحج اذذاك « محمود عزمى باشا » فظن الاخوان ان الذى دخل القصر هو محمود عزمى باشا فهاجوا

وارادوا ان يقابلوه بشىء من خشونتهم وهو خارج ووصل الخبر الى القصر وانا فى حضرة ابن السعود فهرول اليهم من هرول من رجاله ينبئهم حقيقة الامر ويميز لهم بين « محمود عزمى السيف » .. و « محمود عزمى القلم » وقلت انا لمحدثى « الحمد لله الذى نجانا »

مادبة ملكية

ودعينا الى مأدبة ملكية حضرها نحو خمسين مدعوا بينهم رجال الوفد اليمنى ووفد المؤتمر الاسلامى والبعثة السورية ومدت الموائد بشكل « الحدرة » وتناثرت عليها « الاطباق الكثيرة » يحتل كل واحد منها « خروف كامل » وانتشر الخدم وراء الجالسين يوزعون عليهم الطعام على الطريقة الاوروبية تماما وكان ابن السعود يحادث مدعويه بصوته الجهورى وتتخلل حديثه مداعبات وملح لا يظن مستمعوها انها تصدر حقا عن شخصه الرهيب

العرضة

والعرضة هنا ما نسميه هنا « بالعرض العسكرى » وقد حضرناها مرة امام القصر وقد وقف ابن السعود والى جانبه حاجبان ضخمان مدا ايديهما الى قبضتى سيفهما ومن حوله المدعوون ورجال القصر والحكومة ومر الجيش على ظهور الخيل وعلى ظهور الجمال وراجلين اما الفرسان فيروحون ويغدون مسرعين مطلقين « بنادقهم » فى الهواء مرددين اذا مروا امام ابن السعود قولهم « انا خيال التوحيد اخ من طاع الله » فيجيبهم ابن السعود « والنعم او النعم » مصوبا اليهم بسبابته ولما اقبل « المشاة » اقبلوا شاهرين سيوفهم تتقدمهم طائفة تهتز ذات اليمين وذات الشمال وبايدى بعضهم آلات يدقون عليها ويوقعون . فلما اقتربوا من ابن السعود نزع عباءته وخلع نعليه واستل سيفه وتوسطهم هو الاخر ويهتز ذات اليمين وذات الشمال وهم يحيطون به مضيقين الدائرة حينا وموسعيها حينا اخر .

وكان هذا المنظر الديموقراطى الفذ منظرا اخاذا كما كان منظر احد انجال ابن السعود الفتيان واحد أحفاده وهما يحكمان قيادة جواديهما ويطلقان مسدسيهما فى الهواء طلقات متتابعة .

فى سبيل الرأى وفى سبيل الجيب

فى صيف ١٩٢٨ كنت أعمل فى جريدة السياسة وقد بدأ اتصالى بها فى آخر اكتوبر من ١٩٢٢ مندوبا لدى مؤتمر لوزان حتى فبراير سنة ١٩٢٣ ثم استأنفت الاتصال مراسلا برلمانيا بعد افتتاح البرلمان فى مارس سنة ١٩٢٤ ثم عملت سكرتيرا لتحريرها وكاتبا لافتتاحيتها التى كانت عليها دائما مسحة البحث والتحليل بينما كان صديقى الدكتور هيكل (باشا) رئيسا للتحرير يدبج براعة «حديث اليوم» وهو المقال الحزبى المعبر عن اتجاه « الاحرار الدستوريين » وبينما كان صديقنا توفيق دياب معهودا اليه بالحملات وما تستدعيه من مهاجمات وما الى المهاجمات .

ولظرف مادى رات ادارة الجريدة ان تعرض على محرر الحملات اضطرارها لانقاص مرتبه فرفض واستقال لكن ظلت علاقته مستمرة مع الاحرار الدستوريين وان كان قد طرأ عليها شيء من الفتور ، ثم وليت احدى الوزارات الحكم وكان على ماهر باشا وزيرا للمعارف فيها وكان لطفى بك السيد مديرا للجامعة فتدخل الدكتور حافظ عفيفى باشا لدى ماهر باشا لاسناد منصب فى وزارته للاستاذ توفيق دياب وانتهى الامر بتعيينه مساعدا لامين مكتبة الجامعة بمرتب قدره خمسة وثلاثون جنيها فى الشهر . فى ذلك الصيف من ١٩٢٨ اذن كان محمد محمود باشا متوليا الحكم وقد تولاه بعد الوزارة الائتلافية الثالثة التى كان يراسها مصطفى النحاس باشا حين « تصدعت

اركان الائتلاف وكان البرلمان قداجل انعقاده شهرا وكان الدكتور هيكل بك متهيئا لتمضية اجازته السنوية باوروبا وكنت احل محله فى غيابه واشتممت رائحة اعتزام اعتداء على الدستور .

فأعلنت اصحاب النفوذ فى الحزب انى لن اطيق هـذا الاعتداء اذا وقع لانى لابد مستقيل بمجرد حلول الكارثة وطلبت اليهم فى اخلاص - اذا كان ماشممت صحيحا - ان يتخذوا عدتهم لايجاد من يشرف على تحرير « السياسة » فى غياب الدكتور هيكل بك فأكد لى من تحدثت اليهم جميعا ان شيئا من مخاوفى لن يكون وكان مرتبى فى ذلك الحين من السياستين اليومية والاسبوعية سبعين جنيها وكنت اقطن بضاحية الزيتون وكنت دائم الاختلاط بالصديق توفيق دياب وكانت اسرة صديقى قد قصدت الى الريف لتمضية فصل الصيف وكان توفيق يعيش بمنزله منفردا فدعوته الى ان ينزل معى بالزيتون وتفضل هو بالقبول . وكنت بطبيعة الحال افضى اليه بما المحه فى الافق الدستورى وبما اخشاه من حلول الكارثة وبما هو مستقر فى نفسى من استقالتى من « السياسة » بمجرد حدوث الاعتداء على الدستور ، وكان وهو يفضى الى فى اوقت نفسه بمتاعبه فى الجامعة اذ مرتبه ضئيل واذ يعامله على عمر بك السكرتير العام معاملة غير هينة فيحاسبه على تأخره فى الحضور وفى انجاز مايكلفه به من عمل غير داخل فى الواقع ضمن حدود وظيفته .

وصباح يوم دخل على توفيق فى غرفتى قبل ان نلتقى الى المائدة كعادتنا وقال لى فى شيء من الرسمية والخطورة « انك اذا صممت على ترك « السياسة » فانى سأترك الجامعة بدورى ونخرج لنصدر صحيفة يومية معا » ولم تكن فكرة اصدار صحيفة - قد مرت بخاطرى لحظة وكل ماكان يشغل بالى انما هو استحالة استمرارى فى العمل فى جريدة يتولى حزبها الحكم ويلحق بالدستور سوءا . وهكذا كانت مواقفى دائما بعيدة عن ان يتخللها الاعتبار المادى الى جانب التقدير المبدئى

والمعنوى نسابقا استقلت من مدرسة التجارة فى الشهر الذى تقررت فيه للموظفين « علاوة الحرب » ولم اكن لامتلك غير مرتبى الشهرى ولاحقا تركت خدمة « الخديو » دون ان احتكم على شيء وكل ماكان فى الاولى هو كل ماكان فى الثانية هو كل ماكان حين فكرت فى ترك السياسة وهو انى فى حالة لا يطاوعنى ضميرى على الاستمرار فيها وليكن بعد ذلك مايكون ـ كان تحدث توفيق الى فى شأن اصدار جريدة مفاجأة اذن كما كان تحدثه الى فى استقالته من الجامعة فقلت له « اى توفيق اما انا فاعمل فى جريدة سياسية هى لسان حال حزب سياسى تقدم حكومته على عمل لا ارضاه فاستقيل من الجريدة ومن الحزب اما انت فموظف بالجامعة وليست الجامعة مؤسسة سياسية ولا حزبية فمالك والاستقالة منها انى انصحك بالتريث .

فأجاب « لقد وزنت كل شيء طول هذه الليلة ووجدت ان الفائدة كل الفائدة فى الاستقالة واخراج صحيفة اذا وعدتنى بأن نعمل معا قلت فليكن لكن لا ترفع استقالتك قبل ان نتحدث فيها من جديد . ووقعت الواقعة ويالها من آونة تلك التى قرأت فيها وانا جالس الى « سبلندد بار » جريدة «الاتحاد» وجريدة « لابورص » وفيهما اشارة الى امر ملكى ينزل عن طريقه بالدستور ماينزل ويالهامن لحظة هرولت فيها الى جريدة « السياسة » واطلعت على « الامر الملكى » بل استمعت اليه استماعا اذ اهتزت يداى وانا ابدأ تلاوته اهتزازا حال دون تبينى الحروف فى هداءة فطلبت الى احد الزملاء ان يقرأه لى ويالها من ساعة امضيتها فى الجريدة التى اتصلت بها منذ تأسيسها مسائلا نفسى « هل أنا اجير او انا عامل لمبدأ اما اذا كنت اجيرا فلاستمر فى العمل اجيرا أما اذا كنت اعمل لمبدأ ـ وهو مبدأ الدستور والحكم البرلمانى الديمقراطى فمحال ان اظل بعد الساعة لحظة والجريدة مضطرة للدفاع عن اجراء فيه

اعتداء صارخ على الدستور واذن فالامر بين ، واذن فلا لبس — والاستقالة وهذا هو الذى تم فى ساعتها . والتقيت مساء بتوفيق فى « سولت » واخبرته الخبر وكان بيده احد الملاحق « متضمنا الامر الملكى » فافضى لى بتصميمه على الاستقالة فى الغداة وكان واخذنا نستنشق معا هواء الانطلاق ونسيم الحرية وننتظر ماقد يجىء به الغد — وذات مساء — ونحن عائدان الى الزيتون حدثنى توفيق بشأن « الانضمام الى الوفد » فاعترضت على حديثه وقلت انا لم نترك حزبا لننضم الى حزب ولم نخرج من فئة لننضم الى فئة وانما تركنا جماعتنا لانها تصرفت تصرفا لانرضى عنه فلنقف عند حدنا وسيكون عملنا بطبيعته متفقا مع عمل الوفد لاننا جميعا نكافح فى سبيل الدستور واعادة البرلمان لكن ليس من الضرورى ان نندمج . فلم يقتنع توفيق بهذه النظرية وقال انك تريد ان تكون قاضيا تقول لهذا اصبت ولذلك اخطأت لكنك تنسى ان القاضى لايشهد جلسته الا بعض عشرات من الناس فى حين ان الجندى السائر فى الصف يشهده الوف الناس فى الشوارع . قلت : هذا صحيح لكنى مطمئن الى موقف القاضى مكتف بعشرات مشاهديه اذا كان لابد من الاعتزاز بالمشاهدين — لكن صديقى لم يقتنع فسألته هل يرضيه ان نحتكم فى خلافنا الى حمد باشا الباسل وهو وكيل الوفد فرضى وذهبنا لمقابلته بفندق « مينا هاوس » وعرضنا عليه الامر فوافقنى انا على رأيى ونصح ببقائنا مستقلين واقتنع توفيق بتدليلات حمد باشا ولا سيما حين قال له « انك ستظل دائما دخيلا فى نظر القوم » ..

وانتهينا على هذا وكتب لنا بعد ذلك ان اصدرنا جريدة « وادى النيل » مع صاحبها الاستاذ « الكزة » وكانت — الاشاعات كعادتها فى هذا البلد — قد ملات الدنيا بان الوفد هو الذى سيصرف على الجريدة التى نخرجها واجتمعنا بقهوة « سبلندد بار » — فى قاعة من قاعاتها العليا — لكتابة العقد وقال الكزة نقول ان الجريدة تسير على مبادىء الوفد طبعا فوافق توفيق دياب لكنى نصحت بالنص على أن مبدأ

الجريدة « العمل على استردادالدستور واستكمال الاستقلال » دون ذكر هيئة من الهيئات وكان هذا هو الذى نص عليه فى العقد وتفاهمنا على ان يظل توفيق فى القاهرة واقصد انا الى الاسكندرية اشرف على اصدار الجريدة فى مقرها وتفاهمنا على عدم تناول تصرفات « الاحرار الدستوريين » فى مقالاتنا الا فيما صدر عنهم ويصدر بعد ١٩ يوليو سنة ١٩٢٨ وهو تاريخ « الاعتداء على الدستور » دون تعرض لمواقفهم السابقة اذ كنا متضامنين واياهم فيها لكن لم يمض على عملنا فى وادى النيل اسبوعان حتى اخذت الح فى مقالات توفيق التى يبعث بها الى فى الاسكندرية تعرضا لحلفاء الامس فى تصرفاتهم السابقة لذلك التاريخ المعهود بل تعرضا لمبدأ تاليفهم الحزب الذى، اذكر انه كان هو بالذات الموزع لاوراق الانتخاب فى اجتماعه التأسيسى فكنت ألاحظ عليه مخالفته لتفاهمنا السابق وكنت احذف من مقالاته العبارات التى تتجلى فيها هذه المخالفة وكان هو يحتج ويلح وكنت انا عند التنفيذ الدقيق لما عاهدنا نفسينا عليه .

وضحى اليوم الرابع عشر من شهر نوفمبر ١٩٢٨ قدم لى احد الزملاء المحررين بوادى النيل جريدة الاهرام التى كانت قد وصلت الى الاسكندرية فى تلك اللحظة ودلنى فيها على موضع اعلن فيه توفيق دياب انضمامه الى الوفد خلال احتفال البارحة بعيد الجهاد القومى والحق ان الدهشة تولتنى توليا عظيما حين قرأت ذلك النبأ على الرغم من كل ما اعرفه عن صديقى من الاندفاع وراء احساس الساعة بل اللحظة وتناولت التليفون وتحدثت اليه فى القاهرة وسألته عما الخبر فاجابنى انه نفسه لا يدرى كيف حدث ما حدث فقد حضر الاحتفال وهو يعتزم مجرد حضور العيد القومى لكن الحاضرين طلبوا اليه ان يخطبهم والحو فى طلبهم فلباه وخطب وجره حماس الجمهور فاندفع فى تياره متأثرا به فاعلن ما اعلن فلاحظت عليه غرابة الامر والمفهوم انه يؤثر الخطيب فى الجماهير لا ان تؤثر الجماهير فى الخطيب وان يجرفهم هو فى تياره لا ان يجرفوه هم فى تيارهم وسألته وما مصير الجريدة التى نحررها الان فقال « أمامى فى هذه اللحظة معاون قسم عابدين وقد جاء لالقاء القبض على

لمناسبة خطبتى امس » فقلت لامحل للتحدث فيما كنا نتحدث فيه وسأحضر الى القاهرة هذا المساء . وحضرت الى القاهرة وبقيت بها اياما حتى تم فى خلالها الافراج عن توفيق دياب بمقتضى امر اصدره القاضى حمدى محجوب مدير الامن العام فما بعد - واجتمعت بتوفيق غداة الافراج فى منزله بشارع توفيق وتناولنا معا غداء « ملوخية » وجاء بطبيعة الحال دور التحدث فيما كان وما سيكون وعرضت مخرجا من المأزق أن اكتب مقالا اشير فيه الى الائتلاف فى العمل وانتاج هذا الائتلاف ماقام على الاخلاص المتبادل واقرب لذلك مثلا جريدة وادى النيل التى يعمل فيها « توفيق فى وفديته وان كانت بنت اربعة ايام وأنا فى استقلالى عن الهيئات والاحزاب السياسية جميعا » وهكذا كان وسجلت هذا الاستدراك وظللنا نعمل فى وادى النيل من منتصف سبتمبر ١٩٢٨ الى اليوم السادس لشهر ديسمبر بعده اذ صدر قرار من مجلس الوزراء بالغاء الجريدة لنشرها مقالا لى راى فيه مجلس وزراء ذلك الزمان مارأى من اعتبارات . واصدرنا من بعد جريدة «الشرق الجديد» ودامت بضعة اسابيع الغاها مجلس الوزراء بعدها كذلك الغاء . وفكرت انا فى الرحيل عن مصر والاقامة بباريس واردت الاستناد الى بعض مورد يجيئنى عن طريق مراسلة بعض الصحف المصرية وتحدثت فى هذا الشأن الى « كوكب الشرق » والى «البلاغ» الوفديتين فلم تر ادارتهما ان حالتهما المالية تسمح بالتوسع فى صفوف محرريها وعلم صديقى احمد بك عبد الغفار وكان له معى فى أزمة الدستور موقف تضامن لم يحققه - من أمرى ماعلم فاقترح ان أرسل « السياسة » فرفضت لما بينى وبينها من فتور فى الرأى ولكنى رضيت ان أراسل السياسة الاسبوعية ولم تكن لها صفة سياسية ولم تكن لها صبغة حزبية بل كان المقرر المعروف وهى لم تكن ملك الحزب كما كانت السياسة بل ملك الدكتور حافظ عفيفى باشا - انها مجلة ثقافة عالية وكفى

وسافرت الى أوروبا وتبعتنى كلمة كتبها الاستاذ توفيق دياب

فى « البلاغ » على ما اذكر يقول فيها انى لم اخبره انى سأراسل « السياسة الاسبوعية » - التى يعرف كما أعرف أنها غير حزبية ويعلق على هــذا باستشهاده - « قل كل يعمل على شاكلته »

ومضت أيام عدت بعدها الى مصر وسـقطت وزارة محمــد محمود باشا وتلتها وزارة عدلى باشـا « الانتقاليــة » وجـرت انتخابات تقدم فيها توفيق وفديا ونجح حيث كان قد فشل منذ سنوات وفكر فى اصدار جريدة « اليوم » وكنت ايامها أسـاهم فى تحـرير جـريدة « كـوكب الشرق » فتقدم منى توفيـق ان اشاركه فى « اليوم » مشاركة على أن يكون الى ثلث الارباح مع حد شـهرى ادنى فقبلت بعـد تردد من جانبى والحاح شـديد من جانبـه وجاءت المفاوضـات وسافرت فى سبيلها مندوبا عن « اليوم » وكنت قد تقدمت قبل سفرى للنحاس باشا بمذكرة عن آرائى فى المفاوضـات وما ينبغى ان تدخله على مشروع « محمــد محمـود - هنـدرسون » مـن تعديلات فكانت هذه المذكرة وما اكتنفها فى لندن الى جانب نشاطى الخاص من العوامل التى اعانت على ان تكون برقيات « اليوم » من أدق البرقيات التى كانت ترد على الجرائد فى مصر

وانتهت المفاوضات وأحسست على أثرها بهجوم داء السكر على هجوما شـديدا فقصـدت الى « لوزان » للمعالجة ولم اعد الى مصر مع « الوفد الرسمى » كما كنت قد غادرتها معـه ثم آثرت البقاء بأوروبا وقد حل بمصر عهد صدقى باشا وحلت معه الكارثة الدستورية العظمى ويتصل بى بعد ذلك ان النحاس باشا هنأ « اليوم » بمندوبه فى لندن حين استقبل الاستاذ دياب وبعض محرريه عقب عودته من لنـدن وانه اعلن ان عزمى قام للوفـد وللمفاوضات بما يعرف له ويقدر ويتصـل بى ان أحد المحـررين الذين كانوا حاضرين ذلك التصريح اقترح على توفيق وهما يعودان

من بيت الامة الى دار « اليوم » انشر ذلك التصريح الذى فاه به النحاس باشا فرفض توفيق ويخبرنى ذلك الزميل المحرر بالذات انه أحس فى رفض توفيق رغبة عن تسجيل حسنة لعزمى

ثم تمضى بعد ذلك ايام وشهور وسنوات اعمل خلالها الى جانب « الخديو » بأوروبا بمرتب شهرى قدره مائة جنيه تضاف الى مصاريف الاقامة فى غير باريس فتجعله قريبا من المائة والخمسين ثم احس انى لا ارتاح لاستمرارى فاستقيل وأقصد الى لندن اقوم فيها بعمل صحفى متصل بمصر والبلاد العربية واكتب الى صديقى توفيق اعرض عليه مراسلتى « الجهاد » بأجر شهرى أقدره بعشرين جنيها . فتكون مأساة ومأساة ابعد ذكراها وذكرى ماتلاها عن ذاكرتى لانى اشفق على البشرية من كل مايتلاقى خلالها ثم أمر بمصر فى طريقى الى الحجاز واعود من بلاد العرب فى طريقى الى أوروبا فيلح على الصديق توفيق فى البقاء والعمل معه فى « الجهاد » والمح بارقة أمل فى اثير الحال السياسية فى مصر فأرضى البقاء واعمل فى « الجهاد » محررا « دبلوماتيا » وأبذل من الجهود ماكان يهلل له الصديق توفيق ويخبرنى - وانا بالاسكندرية - ان بيع الجريدة قد زاد بفضله آلافا وآلافا ... وتتكلل تلك الجهود بما كنت ارمى اليه فى حملتى من قضاء على العهد البائد وتوليه لتوفيق نسيم باشا .. ثم يجىء دور العمل الانشائى فاكتب عن بعض اعمال الحكومة واعالج مسألة معينة منها بنفس الروح التى كنت اعالجها بها ايام الوزارة السابقة - وهى الروح التى كان « الجهاد » ذاته قد عالج المسألة ذاتها قبل ان اعود الى مصر وقبل ان اعمل فى تحريره فلا ترضى المعالجة وزيرا من الوزارة فيمتعض منها توفيق دياب ... ويطلب الى ان استريح باجازة شهرا أو شهرين وقد يكونان هما

اللذان قدرطولهاماالانتهاء الحكومةمن معالجة المسالة الدقيقة على هـواها . . . فـلا أجـدمجـالا لمقـابلة هـذا العـرض الا باسـتقالة مـن « الجهـاد »والبحث عن جريدة اكتب فيهـا ما أومن به من الآراء دونالوقوفعند أى اعتبار شخصى أو مادى

وبعد ففى هذهالذكريات عبرةلمن يريد ان يعتبـر وآية هـذه الذكريات ان للمرء ان يختار بينسبيل المبدأ والرأى يحتمل من جرائهمـا مايحتمل من ضـنك وشظفعيش،وبينسبيل الوصول والجيب ينيم لاجل التنعم بهما جوانب البشرية السامية والمثـل العليا . على أن السبل الاولى هىالوحيدةامام أولى الخلقالعظيم . ولكل وجهة هو موليها -

رؤساء الوزارات والصحافة

كتب لي ان اتصلت اتصالا صحفيا برؤساء الوزارات التى تعاقبت الحكم منذ النهضة الوطنية فى اخريات سنة ١٩١٨ حتى اليوم مع استثناء أصحاب الدولة توفيق نسيم باشا فى وزارته الاولى ويوسف وهبه باشا ويحيى ابراهيم باشا فى عمومهم واسماعيل صدقى باشا أيام تولية الرياسة بالذات وكان لابد بطبيعة الحال ان تكون لى معهم حوادث اتبين خلالها نوع نظرهم الى الصحافة واعتبارهم الصحفيين وقد آثرت ان اروى بعض تلك الحوادث ذات الدلالة لعل فى روايتها عبرة لمن يريد ان يعتبر .

علم بالنفسيات

على انى قبل الاخذ بالرواية اريد ان اتقدم بملاحظة عامة هى ان رجال الحكم جميعا فى حاجة قصوى لان يكونوا على شىء من العلم بالمباحث النفسية وعلى شىء من ممارسة النفسيات بالفعل وما الحكم وما السياسة الا فن توجيه الشئون العامة عن طريق الاشخاص ولا يحسن التوجيه طبعا الا من خبر طبائع الناس وعرف جوانب الخير وجوانب الشر ومواطن القوة منها ومواطن الضعف وعرف كيف يستغل كل واحدة عند من يضعه القدر فى طريقه ويؤثر بها جميعا فى الراى العام وهو المحور الذى يجب ان يدور حوله نشاط رجال الحكم تأثيرا فيه اوتأثيرا منه

رشدى باشــــا

واول من وجدته رئيسا للوزراء وسأقص قصصهم بترتيب توليهم الحكم وانا اعمل فى الصحافة متوليا تحرير جريدة «المحروسه» بعدئذ استقلت من مدرسة التجارة معتزما « الاشتغال بالسياسة المصرية » على حد ما ذكرت فى كتاب استقالتى — هو حسين رشدى باشا وعلى الرغم من دقة الظروف الصحفية التى كانت تجتازها البلاد فى عهده اذ كانت الاحكام العرفية الانجليزية معلنة وكانت الرقابة العسكرية على الصحف مفروضة فان رشدى باشا كان يفقه الاتصال بالصحفيين ومحاولة جعل الجو الذى يسود علاقاتهم به جو صفاء ومودة وكان يعاونه فى مهمته ان الصحف اليومية لم تكن فى ذلك الحين عديدة وكان رشدى باشا مصادقا لكثيرين من مديرى الصحف ورؤساء تحريرها فكان يستعين بهذه الصداقة خلال زيارات يؤديها شخصيا لهؤلاء المديرين والرؤساء فى منازلهم كما كان يدعوهم الى مقابلات فى داره او فى ديوانه يتبادل واياهم الراى فى صراحة



وجلاء ويقفهم بصفة خاصة على ما لديه من اسرار الدولة واسرار علاقتها بالسلطات الانجليزية المتعددة حتى يكونوا على بينة من الامر كله حين يكتبون وليس ادل على هذا الذى نقول من ان الاجتماعات التى كان يعقدها فى داره بمصر الجديدة عند نشوب الحرب وقبيل قطع مصر علاقتها بالدولة العثمانية واعلان انجلترا الحماية البريتانية عليها كان يحضرها معه اربعة من اصدقائه هم سعد زغلول واحمد عبد اللطيف وعبد العزيز فهمى واحمد لطفى

السيد وكان لطفى السيد فى ذلك العهد صحفيا يتولى سياسة « الجريدة » ويراس تحريرها ويكتب المقالات يضمنها توجيهات كان الاصدقاء الخمسة يتفقون على ضرورتها .

سعيد باشا

وكذلك كان سعيد باشا شديد الاتصال بالصحفيين يفتح لهم ابواب ديوانه وابواب منزله ايضا وكثيراً ما كان يدعو بعضهم الى تناول الغذاء على مائدته ويناقش واياهم حول المائدة كثيرا من شئون الدولة وما يخطر له فى صددها من تصرفات واذكر لمناسبة لا ادرى الان اى مقال من المقالات استدعيت لمقابلته فى الاسكندرية وفى داره بالرمل فلما قصدت الى الدار وجدتها غاصة ببعض اصحاب المنزلة من اهل الثغر يتوسطهم سعيد باشا ويتجاذبون واياه اطراف الحديث كابناء اسرة واحدة .



وكان من دلائل وقوفه على غير قليل من طبائع الناس ان اراد — وكانت تلك هى المقابلة الاولى التى جرت لى معه — ان يخلق قبل ان يحدثنى فيما استدعانى من اجله جوا من الاتصال ورفع الكلفه وكان يسمع بطبيعة الحال عن شيء من آرائى الاجتماعية فبدا حديثه بالايمان والاديان وتأثير البيئات فى المعتقدات وقص علينا كيف كانوا « يحفظونه » عن ظهر قلب وهو يحضر دروسه صبيا فى مدرسة « الفرير » اسفارا من الكتاب « المقدس » وغير قليل من الصلوات المسيحية ومع ذلك فان شيئا من ذلك لم يؤثر فى اعتقاده الذى ظل اسلاميا ودار بيننا نقاش حول مسألة العقائد وأثرها ومنزلتها خلق بيننا شيئا من العلاقة الفكرية

التى يؤثرها « المفكر » الصحيح على اية علاقة اخرى واذن فشيئا من الجو المعين على الاستماع فى حسن ظنى على ملاحظته على المقال الذى استدعانى من اجله ولم ينس سعيد باشا ان يزودنى ببعض الانباء التى تهمنى وسرنى ان اقدمها قبل غيرى لقراء صحيفتى وأن يهمس فى أذنى ببعض الاجراءات التى تتجه النية الى اتخاذها طالبا الى ان ابقيها سرا فيما بينى وبينه فخرجت وانا اشعر ان بيننا علاقة تفكير وعلاقة ثقة وهما اقصى ما يطمع فيه صحفى من طراز المفكرين وهو يشعر انه قد فاز باقناعى او باكتسابى دون ان يتكلف غير مشقة حسن الاستقبال وحسن الاخذ بما يعرفه من مواطن عن المفكرين .

عدلى باشا

كنت احسب عدلى باشا قبل ان اعرفه من طراز «اولاد الذوات» الذين تصورهم لنا الإساطير فى صور محدودة وكنت احسبه بطبيعة الحال ممن لا يقراون الصحف او ممن يكتفون بقراءة الصحف الافرنجية الاجنبية والمحلية ولذلك فقد كانت تتولانى الدهشة كلما اجتمعت به فوجدته يحدثنى فى تفصيل مقال لى وعن مقال لامين الرافعى ولاخر تنشره جريدة « النظام » ثم يقارن بين التدليلات التى يلجأ اليها الكتاب ويحلل ما تضمنته المقالات من اراء ويعقب عليها تعقيبا . ثم كان يدهشنى ان اراه عارفا للصحفيين البارزين معرفة شخصية محللا لنفسياتهم تحليلا عميقا ذاهبا فى ملاحظاته عنهم الى حد لم يكن ليخطر على بال اكثر الناس اتصالا بهم واشدهم اختلاطا على انه « ينتقى » من



يوليهم ثقته ويفسح لنفسه مجال التحدث اليهم فيخرج عن ذلك المظهر الذى كان يحسبه غير عارفيه انه دال على نفسية متكبرة ولكنه كان يترك امر الاتصال بغير من « ينتقيهم » لزميل كبير من زملائه الوزراء كان هو ثروت باشا لا لموظف من موظفى رياسة مجلس الوزراء او لمدير من مديرى مكاتبه وكان فى تحدثه الى الصحفيين لا يوارى ولا يدور فاذا كان يحكم ان فى استطاعة الظروف ان تسمح له بالاجابة الصريحة على ما يتوجه به اليه الصحفيون من اسئلة تقدم بهاجلية مستقيمة واذا كان يرى ان الظروف لا تطاوعه على الاجابة الصريحة اعتذر عنها فى صراحة وقال ان الوقت لم يحن بعد لبحث هذا الموضوع واذكر ان جاء يوما صحفى كبير من صحفيى فرنسا بعث الى ببطاقة من صديق لى بباريس يوصينى بتسهيل مهمته وكانت مهمة تحقيق فى المسألة المصرية من الوجهة الدولية وكان عدلى باشا اذ ذاك رئيسا لوزارة الائتلاف الاولى وطلب الصحفى الفرنسى ان اقدمه لعدلى باشا وقصدنا الى مجلس النواب لهذا الغرض وفى انتظار خروج عدلى باشا من الجلسة الى غرفة رئيس الوزراء بالمجلس جلست وصاحبى فى غرفة الوزراء فجاء ثروت باشا فقدمت الرجل له واخبرته بمهمته فسأل الصحفى الفرنسى ثروت باشا « لم لا تدخل مصر عصبة الامم » وهل تعتزم الوزارة القائمة اجراء مفاوضات جديدة مع انجلترا ؟ « فأجابه ثروت باشا » انك حاضر لمقابلة الرئيس فهلا توجهت له هو بسؤالك « وفر ثروت باشا هكذا من الاجابة وانقذه من مكر الصحفى أن أعلن وصول عدلى باشا الى مكتبه فقمنا لمقابلته . وهناك اخبرته انا انتظرناه دقائق فى غرفة الوزراء وانى قدمت صاحبى هناك لثروت باشا وسأله الصحفى نفس السؤال الذى وجهه الى ثروت باشا فاجابه عدلى باشا « لقد عرفت ثروت باشا فهلا تقدمت بسؤالك لوزير الخارجية » فضحكت وقصصت قصة ثروت

باشاواحالة الرجل على «الرئيس» الذى يحيله الان بدوره على وزير الخارجية . وكانت لطيفة انطلق بعدها عدلى باشا انطلاقا يحدث الرجل فى صراحة عن كل ما ارادمعرفته منه وخرج الرجل يقول انه « من عيار اكبر رجال الحكم فى اوروبا » ذلك بأن عدلى باشا قد عرف كيف يخلق الجو الملائم بينه وبين الصحفى وقد عرف نوعه وطرازه .

سعد باشا

اما سعد باشا فقدكان صحفياوهذا ادق ما يمكن الالتجاء اليه من تعبير يراد به وصف علاقةرجل حكم بالصحافة ورجالها فقد كان سعد باشا يحب الصحفيين ويجالسهم وكثيرا ما كان يتبادل الرأى معهم فى ادق المواقف واخطر الامور وكثيرا ما كان يتبادل الراى معهم مع انصاره ومع خصومه على السواء بل كثيرا ما كانت تغلب عليه النزعة الصحفية الاولى فيكتب بقلمه المقالات او يمليها ويمضيها بامضاء مستعار وكان احيانا يتبرع ببعض مقالاته لمن املاها عليه فيسمح له بالتوقيع عليها ونشرها مسندة اليه دون موحيها . وتقدمت لسعد باشا غداة اجتماع البرلمان الائتلافى وتحدثت اليه فى امر من الامور التى كنت اجد ضرورة الالتجاء اليها تدعيما للدستور ومنعا لتكرر الاعتداء عليه وعلى الرغم من انى لم اكن منتميا الى الوفد وعلى الرغم من ان سعد باشاكان يعرف انى لم اكن من محسنى الظن باستمرار الائتلاف فانه لم يتردد لحظة فى الافضاء الى بسر من اسراره التى كان يحتفظ بها للالتجاء اليها وسيلة فعالة فى سبيل تدعيم الدستور ومنع تكرر الاعتداء عليه وكل ما



أحاط به ادلاءه طلب الى أن يبقى هذا الذى افضى به سرا اذ لم يحن بعد وقت اذاعته ونشره وهذا هو الذى كان حتى اليوم

ثروت باشا

داهية من حيث علاقته بالصحافة والصحفيين وهو من اعمق من عرفت من رؤساء الوزارات تحليلا للنفسيات ووقوفا على مواطن القوة والضعف عند بنى الانسان واقدرهم على اخذ الصحفيين بما يهون دون ان يظفروا منه بأكثر مما يريد هو أن يقول حلو المقابلة وحلو الحديث وحلو الوديع ينسيك بهذه المظاهر احيانا بعض ما انت ذاهب اليه من اجل السؤال عنه والاستيضاح اذكر انى ذهبت اليه يوما - ولم يكن بعد رئيسا للوزارة ولم يكن متوليا وقتها الحكم - وكان ذلك ايام وجود لجنة ملنر فى مصر وايام اشاعات اتصالها ببعض الوزراء والكبراء وقصدت اليه اسأله علاقته باللجنة ورايه فى الاتصال بها ورايه فى القضية المصرية فى عمومها وقصدت اليه فى دار الجامعة المصرية بشارع الفلكى حيث كان قد حدد لى موعدا لمقابلته وتقابلنا واحسن الاستقبال



ما احسن واحسن الحديث ما احسن والقيت عليه اسئلتى وكانت مكتوبة فى ورقة فتناولها منى وقال « انى فى الواقع لم استقبلك صحفيا وسأحدثك فى اسئلتك لكنى اريد الا احدثك صحفيا بل اريد ان احدثك منطلقا من هذا القيد الذى يدعونى بطبيعة الحال الى التحفظ فيما اقول انما اريد ان اتحدث اليك « زميلا » فى دراسة الحقوق وفى تكيف دماغنا بالمنطق القانونى وهو منطق الذوق السليم وأحس بطبيعة فراسته

انه اصاب منى موطن اعتزاز بالمزاملة فاطمأن وحدثنى، وحدثنى فى عموم واجمال وابهام بعض الاحايين وختم حديثه فى انه انما افاض بما افاض نزولا عند واجب الزمالة وهو لا يشك انى سأحتفظ لنفسى بكل مادلى لى به من معلومات. وانتهت المقابلة وخرجت مأسورا باعتبار « الزمالة » ولم انشر حرفا من حديثه احتراما لاعتبار «الزمالة» بل لم احلل فى نفسى ذلك الحديث فاجده غير منطو على شىء صريح ولا خطير .

النحاس باشا

يقابل الصحفيين ويتحدث اليهم فى صراحته المعهودة او يعتذر فى صراحته المعهودة ايضا عن الاجابة عما يوجه اليه من اسئلة لا يريد الاجابة عنها وهو حين يتولى الحكم يحس انه متصل عن طريقه بمختلف التيارات الفكرية فيتسع صدره لمؤيديه من الصحفيين واغير مؤيديه . قصدت اليه فى وزارته الاولى مرة وفى وزارته الثانية مرة اخرى وتحدثت اليه فى المرة الاولى لمناسبة أزمة قانون الاجتماعات وفى المرة الثانية



لمناسبة « المفاوضات » التى كان يستعد للسفر لاجرائها وقال لى فى المرة الاولى انه لا يريد الافضاء بمعلومات قبل انقضاء يومين وقال لى فى الثانية انه يفضى الى بمعلوماته على انها ليست للنشر وقد بر بوعده فى الاولى وبررت بوعدى فى الثانية اما فى مفاوضات لندن التى جرت برياسته سنة ١٩٣٠ فكان حريصا كل الحرص كله على سرية ما يدور فيها من مفاوضات لكنه ليلة تم التفاهم بينه وبين مستر هندرسون على مشروع المعاهدة ـ وكان يحسبه

تفاهمـا نهائيا ولم يـكن ينتظر عدول الجانب الانجليزى عنه فى الغداة ـ وقد اجتمعت به عقب عودته من وزارة الخارجية عند الساعة الواحـدة بعـد منتصف الليل انطلق يتحدث عن ادوار المفاوضة فى تفصيل وعن العقبات التى كانت تقف فى طريقها وعن الرسائل التى استطاع ان يتغلب عليها فى هذه العقبات . على انه كلما كانت المفاوضات تقف موقفا دقيقا كان يحرص عـلى تعرف راى كبـار الصحفيين الملازمين للوفد ويناقشهم موقفه فى صراحة وافصاح تامين .

محمد محمود باشا

يميل الى الاتصال بالصحفيين وله بينهم اصدقاء يترددون عليه او يبعث هو فى اثرهم وكثيرا ماكان يتصل بداود بركات اتصالا مباشرا او غير مباشر عن طريق الاستاذ انطون بك الجميل حينما كان يعمل سكرتيرا للجنة المالية ويود محمد باشا ان يستأنس براى الصحفيين مختلفى النزعات فيما هـو مقدم عليـه من امور ويحسـن مقابـلة الصحفيين ويعرف اذ يتحـدث اليهم كيف يقـرب المسـافة بينـه وبينهم فيشعر بضرورتهم له وباعتماده عليهم



صدقى باشا

اذا كان ثروت باشا من اعمق من عرفت من رؤساء الوزارات تحليلا لطباع نفوس الصحفيين فان اسماعيل صـدقى باشا من انشط من عرفت منهم فى حيلة الاتصال بالصحفيين ـ كان امين الرافعى يصدر « الاخبـار » فى سنة ١٩٢٠ فكان صدقى باشا

يمضى الاضبوحة فى مكتب امين يتحـــدث فى مختلف الشـئون ويعـــرف كيف « يزلق » خلال حديثه حـكاية طـريفة تتضمن الموضوع الذى يود ان يعالجه امين فى مقاله والراى الذى يريد ان يأخذ بـــه أمين فى معالجتـــه . وكان يـــدق التليفون لجـــريدة الافكار كل صباح تقريبا ليسأل عن الاخبار ويدلى بما يراه جديرا بالبحث « لو استحسنت الجريدة ما يراه » ثـــم يدعو محـــررا من المحررين الى تناول الغداء معه فى نادى محمـــد على ويلح فى ان يقدم له ما يميل الى تناوله من الطعام من « نبيذ » ويحرص ان



يزور جريدة السياسة ليتحدث اليك ــ « وانت الاقتصادى الذى تحسن تفهم الموضـــوع » ــ فى موضوع يود ان تتناوله الصحف لينشر له فيه رايا بعد يوم او يومين . ثم اذا جاء الحكم انقلبت ادارة مـــكتبه قلمـــا من اقـــلام التحرير فى الصحف «وصالون» من صالونات اجتماع الصحفيين يلاين هذا ويلاطفه ويداعب ذاك ويظارفه ويهـــدى ذلك لمناسبة زواجه ويقربه وان كان فى ذلك كله لا يعنى الا بظـــرف الساعة وحاجته .



عبد الفتاح يحى باشا

احسبه لا يقدر قوة الصحافة قـــدرها الصحيح وتجربتى معه تدلنى على انه يغـــلو فى الاعتماد على « التـــكذيبات » ويحسبها كافية لاقناع الناس بان ما تنشره الصحف عنه وعن « التبليغات »

البريتانية » التى ترد عليه ليس صحيحا حتى بعد ان يثبت العكس ويتضح ، وقد قصدنااليه يوما فى وفد صحفى الاستاذ انطون الجميل بك والدكتور هيكل بك وانا فاحسن استقبالنا وكان حوله من زملائه الوزراءاربعة واحسن ادارة ، مناقشة بيننا وبينهم ونحسبه قد اقتنع بوجهة نظرنا فى اشياء وان يستطيع ان يقتنع بها فى شيءدقيق .

نسيم باشا

عالجنا بعض الاحايين بعض جوانب دولته فيما يتصل بالصحافة والصحفيين ولديناعن دولته ذكريات لم يحن وقت نشرها بعد ونرجو ان يحين قريبا



١٠ - الف ليلة الجديدة - المجموعة الثانية للاستاذ عبد الرحمن الخميسى

١١ - فى المرآة - مختار المرايا فى السياسة الاسبوعية لفقيد الادب الشيخ عبد العزيز البشرى

١٢ - غاديات رائحات - مجموعة قصص مصرية للاستاذ محمود طاهر حقى

١٣ - صانع الحب - مجموعة من القصص الواقعية للاستاذ احسان عبد القدوس

١٤ - دموع وضحكات - مجموعة قصص واقعية للاستاذ عباس حافظ

١٥ - عند ما تحب المرأة - مجموعة قصص مصرية للاستاذ حلمى مراد

١٦ - حاجى بابا الاصفهانى - عن جيمس موريبه للاستاذ مرسى الشافعى

١٧ - جرائم ومرافعات - مجموعة من أشهر القضايا للاستاذ يوسف حلمى

١٨ - الطريق الى السعادة عن الفيلسوف الامريكى هنرى لنك للصاغ ثروت محمود

١٩ - موعد فى الجنة - قصص واقعية عن الابطال المصريين الذين استشهدوا فى فلسطين للاستاذ حلمى سلام

٢٠ - نجيب الريحانى - دراسة وافية دقيقة للاستاذ عثمان العنتبلى

٢١ - صور من الريف - صورة صادقة لحياة الريف بما فيه من نعيم وشقاء ، ومسرات وأحزان للاستاذ زكى عبد القادر

٢٢ - الحب فى التاريخ - أشهر قصص الحب التاريخية للاستاذ سلامة موسى

٢٣ - عشرة أيام فى السودان لمعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا

٢٤ - وراء القضبان لزعيم حزب مصر الاشتراكى الاستاذ احمد حسين

٢٥ - مارد من الشرق - صور من الهند للاستاذ احمد قاسم جودة مع فصول للاستاذ محمود أبو الفتح صاحب المصرى

في المقدمة دائماً

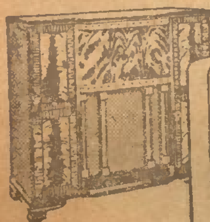


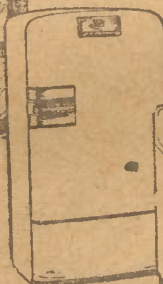
تصدر في منتصف كل شهر

ترقبوا العدد الخامس في ١٥ فبراير
وما يحتويه من مبتكرات قيمة

توجد أجهزة
أدميرال
لكل ما تحتاج اليه

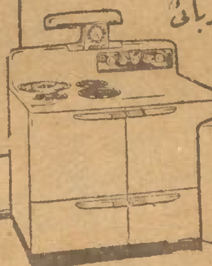
راديو جرامافون

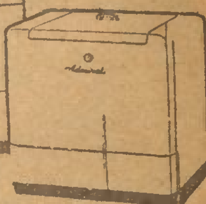




ثلاجة

مطهى كهربائى





خزانات لحفظ الأغذيه

ان ادميرال يعرف حاجاتك ويعرف كيف يشبعها وهو فى أحجامه وأسعاره يلائم كل ذوق ويوانق كل ميزانية. وتعتبر الثلاجة «ديوال ـ تامب» ذات الخزانة الداخلية أعجوبة فى تصميمها وفنها. وإذا أنصت إلى راديو أدميرال أعجبك صوته الطبيعى الجلى كما أن المطهى الكهربائي أدميرال الذى يطهى وحده آليا وجبة طعام كاملة جدير بتقدير ورضاء ربات المنازل. ويتمثل فى كل جهاز من أجهزة أدميرال جمال التصميم وسمو الفن الهندسى وندرة القيمة



أجهزة راديو صغيرة



أجهزة لتغيير الاسطوانات آليا

الوكلاء الموزعون للقطر المصرى

شركة الشرق الأوسط للمشروعات والتوزيع والتجارة

عمارة ايموبيليا رقم ٢٦ شارع شريف باشا بالقاهرة